وزارة التـــــعليم الــــعالي والبــــحث العـــلمي
جامعة 8 مــــــاي 1945م قالـــــمة
كلـــــية الـــعلوم الإنـــسانية والاجــتماعية
قسم التـــاريخ



مذكــــرة مقـدمــــة لـنيل شــهادة الليسانس في التــاريخ بعنوان :

الفتوحات العثمانية لبلاد المشرق العربي (سليم الأول) "1512م-1520م".

إعداد الطلبة: **إشراف الأستاذ:**

* دبار لطيفة * الحواس غربي
* ميسي أميرة
* غناي حواء

لـــــجنة المـــناقشـــــــة:

الأســـــــــتاذ	الرتــــــــبة	الصــــــفة	الجامــــــعة
أ.د/ شايب قدادرة	أستاذ التعليم العالي	رئيـــــــسا	جامعة08ماي 1945م قالمة
الحواس غربي	أستاذ مساعد"أ"	مــــشرفا ومقررا	جامعة08ماي 1945م قالمة
عبد الكريم قرين	أستاذ مساعد"أ"	عضوا مناقـــــشا	جامعة08ماي 1945م قالمة

الســـــنة الجامعية: 2016م/2017م.





شكـــــــــــــــر:

الحمد والشكر لله ربي العالمين الذي اعاننا على هذا، وعلى كل حال نتوجه بالشكر والعرفان الى الأستاذ المشرف " غربي الحواس" الذي لا ننكر فضله في تزويدنا بالمادة العلمية التي سرنا عليها.
نتقدم بالشكر الجزيل على أساتذة التخصص على النصائح والمجهودات التي قدموها لنا.
كما نزف اسمي آليات الشكر والامتنان إلى كل من قدم لنا يد العون والمساعدة من أعضاء المكتبة الذين ساعدونا في هذه الرسالة من إعارة الكتب أو إبداء رأي صائب، سائلين المولى عز وجل أن يجزيهم جميعا خير الجزاء،ويجعل عملهم خالصا لوجه الله الكريم.

شكرا للجميع......

" ميسي أميرة " "غناي حواء " " دبار لطيفة "

إهـــــداء

إلى كل من علمني النجاح والصبر إلى من أفتقده في مواجهة الصعاب ولم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه .....أبي.
إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها من علمتني وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه وعندما تكسوني الهموم أسبح في بحر حنانها ليخفف من آلامي....أمي.

ميسي أميرة

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾

الأية 23 من سورة الإسراء

إلى الذي علمني علم الأخلاق قبل علم القراءة والكتابة

والذي جاهد عواصف الحياة من أجلي

وكان لي سندا وعونا أطال الله في عمره

أبي العزيز "عبد الكريم".

أهدي عصارة فكري إلى التي حملتني تسعا وأرضعتني حولين

والتي مهما قلت أو فعلت فلن أوفيها حقها حفظها الله ورعاها

نبع الحنان أمي الغالية "الزهراء"

إلى أخواتي البنات : نجوى، وكميلة وابنتها "حسناء"، نجاة، نادية، جليلة،أمينة وزوجها "رحيم".

إلى الروح الطاهرة أختي " وهيبة" أسكنها الله فسيح جنانه.

إلى قرة عيني أخي الصغير " محمد " أتمنى له التوفيق في شهادة " البكالوريا "

إلى صديقاتي ورفيقات دربي: مريم، صباح، منال

. إلى كل من يحبهم قلبي ولم يذكرهم قلمي.

" لطيفـة

"

الإهداء

إلى أمي وأبي

إلى أهلي وإلى أساتذتي

إلى زملائي وزميلاتي إلى الشموع التي تحترق لتضيئ للآخرين

إلى كل من علمني حرفا.

أهدي هذا البحث المتواضع راجيا من المولى عز وجل أن يجد القبول والنجاح.

"غناي حواء"

خطـــــــــــــة

عنوان المذكرة:الفتوحات الإسلامية لبلاد المشرق العربي (سليم الأول) " 1512م-1520م ".

الفصل الأول: لمحة عن شخصية سليم الأول.

المبحث الأول: مولده ونشأته.

المبحث الثاني: صفاته.

المبحث الثالث: تولي سليم الأول العرش.

المبحث الرابع: وفاته.

الفصل الثاني: الامتداد العثماني باتجاه المشرق العربي.

المبحث الأول: أسباب توجه سليم الأول إلى المشرق العربي.

المبحث الثاني: أسباب الصراع العثماني الصفوي.

المبحث الثالث: أسباب الصراع العثماني المملوكي.

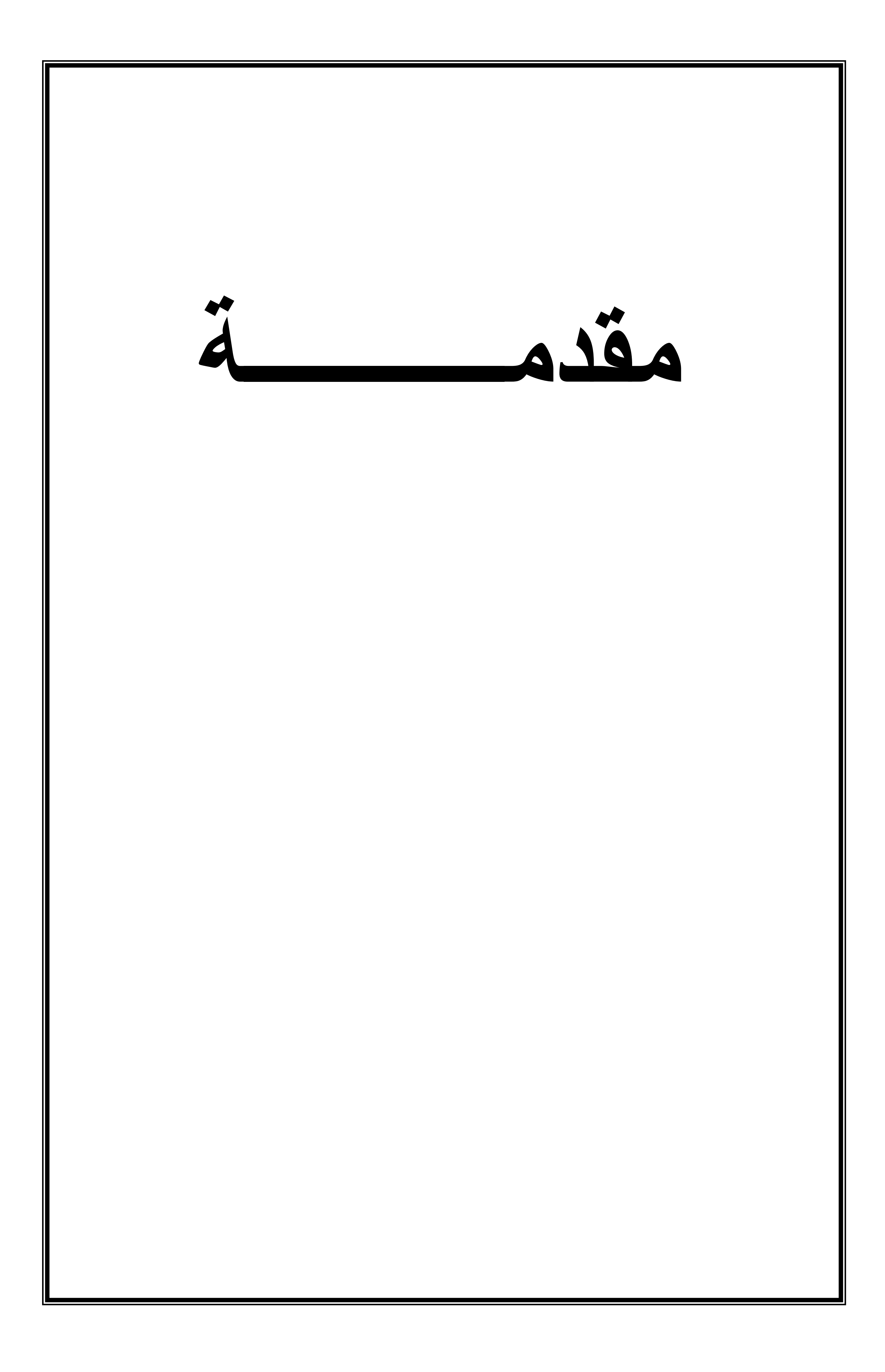
الفصل الثالث: الضم العثماني لبلاد المشرق العربي.

المبحث الأول: الضم العثماني لبلاد الشام، معركة مرج دابق.

المبحث الثاني: الفتح العثماني لمصر- معركة الريدانية.

المبحث الثالث: الضم العثماني للعراق- الحجاز واليمن.

المبحث الرابع: انعكاسات سياسة سليم الأول في المشرق العربي وآثارها.



مقدمة

مقدمة:

الدولة العثمانية هي آخر دولة إسلامية حكمت بلاد المسلمين،واستمر حكمها حوالي ستمائة سنة، بعد أن أسسها عثمان الأول بن أرطغول وتعود أصولها إلى الأتراك، وبلغت أوج قوتها وعزها ومجدها في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وامتدت إمارتها لتشمل أهم قارات العالم القديم وهي آسيا، وافريقيا، و أوروبا، وأطلق عليها عدة أسماء أخرى مثل السلطنة العثمانية والدولة العلية.

وفي القرن السادس عشر شهدت الدولة العثمانية عدة تغيرات أساسية، ففي السنوات الأولى من هذا القرن اصطدمت الدولة بدولة المماليك في الشام ومصر، فكانت هذه الدولة الناشئة محط أنظار الدولة المملوكية لأن العثمانيين كانوا قد حققوا انتصارات ورفعوا راية الجهاد ضد أوربا الشرقية المسيحية (الإمبراطورية البيزنطية)، وكان المسلمون في أرجاء العالم يطربون لسماع انتصاراتهم المتتالية.

وقد مرت الدولة العثمانية في خلافتها بثلاثة عصور كان أولها عصر القوة، والذي بدأ منذ عهد عثمان مؤسس الدولة وصولا إلى سليم الأول وابنه سليمان القانوني، فبعد أن تشبعت الدولة العثمانية بفتوحاتها الأوروبية توجهت أنصار سليم الأول نحو المشرق العربي من أجل توحيد الأمة الإسلامية ففكر في أن خضوع العالم العربي يجب أن يكون للعثمانيين خاصة وأن دولتهم أقوى الدول الإسلامية في ذلك الحين، فبعد أن أتيحت الفرصة للسلطان سليم الأول للقيام بانقلاب عسكري ضد أبيه بايزيد الثاني في 1512م أبدى منذ بداية حكمه ميلا إلى سفك الدماء، فاستهل عهده بقتل عدد كبير من إخوته، كما كان محبا لخوض المعارك وعلى هذا الأساس بدأ سياسته جديدة إزاء المشرق العربي.

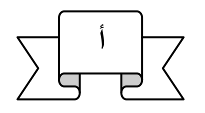
فإن العالم الإسلامي عرف تنافس لثلاث قوى إسلامية وكل منها حاولت التوسع على حساب الأخرى، وتمثلت في قوة الصفويون في الشرق (إيران والعراق)، بينما كانت قوة العثمانيين في الغرب (آسيا الصغرى)، وقوة المماليك في بلاد الشام ومصر.

كما كان الصفويون من المذهب الشيعي بينما العثمانيون والمماليك من أهل السنة وبسبب الصراع على النفوذ تأزمت العلاقات بين العثمانيين والصفويين من جهة وبين العثمانيين والمماليك من جهة أخرى.

ففي تلك الفترة كانت دولة المماليك في حالة انحطاط بالمقابل دولة العثمانيين في حالة ازدهار لذلك نجدهم كانوا يطمحون لزعامة العالم الإسلامي فكانت علاقتهم علاقة مجاملة ثم تحولت إلى صدام عسكري، وبما أن سياسة الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول قامت على القضاء على الصفويين وضم الدولة المملوكية، وحماية الأراضي المقدسة بدأ السلطان سليم الأول بمحاربة الدولة الصفوية وقائدها الشاه إسماعيل الصفوي حيث أنه كان يمثل الخطر المباشر على الدولة العثمانية.

-سبب اختيار الموضوع:

ويعود سبب اختيارنا لموضوع البحث إلى عدة أسباب نذكر منها:



نظرا لأهمية شخصية السلطان سليم الأول في التاريخ العثماني وضمه للبلاد العربية، ومدى أهمية هذه المرحلة التاريخية في تاريخ الدولة العثمانية العلية، التي تمثل أعظم الدول في تقدمها وازدهارها، كذلك تعتبر ظاهرة ضم العثمانيين للبلاد العربية خلال النصف الأول من القرن السادس عشر من الظواهر التاريخية الجديرة بالدراسة.

- طرح الإشكالية:

أما بالنسبة إلى إشكالية البحث المطروحة هنا هي:

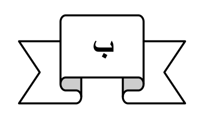
- إلى أي مدى نجحت فتوحات سليم الأول ببلاد المشرق العربي؟
- ومنه تتفرع الأسئلة الجزئية:
- من هو سليم الأول وما هي أهم إنجازاته؟
- ما هي أهم النتائج التي أسفرت عنها الحرب العثمانية الصفوية؟
- فيما تمثلت المعارك التي قادها سليم الأول ليحقق فتوحاته في المشرق العربي؟

- عرض خطة البحث:

وللإجابة على كل هذه التساؤلات قمن بوضع الخطة المكونة من مقدمة وضعناها كتمهيد للموضوع، وبعدها قسمنا الموضوع إلى ثلاثة فصول رئيسية، فكان الفصل الأول بعنوان لمحة عن شخصية سليم الأول، احتوى على أربعة مباحث فالمبحث الأول عنوانه المولد والنشأة، أما المبحث الثاني جاء تحت عنوان صفاته، والمبحث الثالث هو تولي الأول العرش والذي تطرقنا فيه إلى التحدث عن الأوضاع عشية اعتلاء سليم الأول كرسي العرش، أما المبحث الرابع فتحدثنا عن وفاته.

ثم تناولنا لب الموضوع فكان الفصل الثاني بعنوان الامتداد العثماني باتجاه المشرق العربي تضمن ثلاثة مباحث، المبحث الأول: أسباب توجه سليم الأول إلى المشرق تحدثنا فيه كيف أن الدولة العثمانية انتقلت في توسعاتها من الغرب الأوروبي إلى الشرق العربي الإسلامي أما المبحث الثاني وجاءت تحت عنوان أسباب الصراع العثماني الصفوي الذي قمنا فيه بتعريف السلالة الصفوية والتحدث عن أهم معركة دارت بينها وبين السلطة العثمانية وأهم النتائج الناتجة عن المعركة (معركة جالديران)، فالمبحث الثالث موضوعه أسباب الصراع العثماني المملوكي، درسنا فيه طبيعة العلاقة بين الطرفين وأهم الأسباب التي خلقت المواجهة بينهما.

أما الفصل الثالث والأخير وخصصنا للضم العثماني لبلاد المشرق العربي واحتوى على ثلاثة مباحث، المبحث الأول الضم العثماني لبلاد الشام (مرج دابق 1516م) استهليناه بالتحدث عن الدوافع التي أدت بسليم الأول على التوجه لبلاد الشام أما المبحث الثاني الذي إندرج تحت عنوان الضم العثماني لمصر(معركة الريدانية 1517م) تحدثنا فيه عن الأسباب التي أدت إلى وقوع المعركة، والعنصر الثالث تعرضنا فيه، إلى الضم العثماني للعراق والذي وصل فيه العثمانيون إلى السيطرة على شمال العراق، وكذلك الضم للحجار واليمن من أجل المحافظة على الأماكن المقدسة، أما المبحث الرابع إندرج تحت عنوان انعكاسات



سياسة سليم الأول في المشرق وآثارها والذي تناولنا في عن مدى نجاح فتوحات سليم الأول لبلاد المشرق العربي وكذلك السياسة التي اتبعها، وأهم الخطوط الجغرافية التي رسمت في البلاد (المشرق العربي) خلال الحكم العثماني (عهد السلطان) سليم الأول.

- منهج البحث:

وقد اتبعنا في بحثنا وعملنا المنهج الوصفي التحليلي حيث قمنا بالتحدث عن أهم المعارك وبينا أهم الأحداث التي جرت في عهد جرت في عهد السلطان سليم الأول، ولتسهيل فهم ما تناولته هذه الفترة من تاريخ الدولة العثمانية.

- عرض المصادر والمراجع:

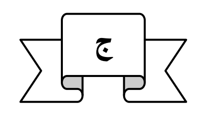
ولإثراء الموضوع حاولنا الإلمام والحصول على قدر كبير من المصادر والمراجع التي تناولته بأدق تفاصيله، ومن بينها كتاب تاريخ سلاطين بني عثمان من أولنشأتهم حتى الآن بحضرة عزتلو يوسف بك آصاف وأفادنا في المبحث الأول في التحدث عن مولد السلطان سليم الأول وكذلك المبحث الثالث تولي سليم الأول العرش، وكتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك المحامي الذي أفادنا في المبحث الثاني في الفصل الثالث الذي تناولنا فيه معركة الريدانية 1517م، وكتاب سليم الأول العثماني وإسماعيل الصفوي لشوقي أبو خليل وأفادنا هذا الكتاب بشكل كبير في المبحث الثاني من الفصلالثاني في التحدث عن معركة جالديران وأيضا كتاب آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني لإبن زنبل الرمال وأفادنا هذا الكتاب في المبحث الأول منالفصل الثالث، وأيضا كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور لإبن إياس الذي أفادنا في التطرق إلى علاقة العثمانيين بالمماليك، وأيضا كتاب تاريخ الدولة العثمانية لزين العابدين شمس الدين نجم الذي ساعدنا في التحدث عن انعكاسات سياسة سليم الأول في المشرق وآثارها، وأيضا كتاب العثمانيون منقيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة لسهيل طقوس الذي أفادنا في نفس العنصر وغيرها من المصادر والمراجع.

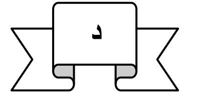
-الصعوبات:

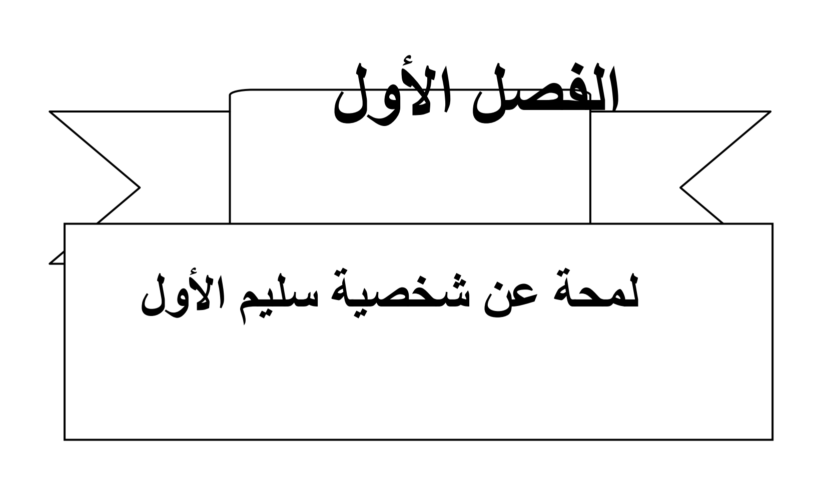
أما عن الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجاز العمل:

- قلة المصادر والكتب المتخصصة حول الموضوع.
- التنقل إلى مكاتب أخرى خارج الولاية من أجل الحصول على قدر كبير من المصادر والمراجع المتناثرة والتي لا تأتي عادة ضمن سياق منظم.
- كما شكل الحاجز اللغوي عائقا خاصة أن معظم مصادر التاريخ العثماني مكتوب باللغة التركية.

لكن رغم هذه الصعوبات التي واجهتنا تحديناها بالعزم والإرادة وتمكنا من إعداد البحث العلمي والحمد لله.




د


الفصل الأول
لمحة عن شخصية سليم الأول

المبحث الأول: مولده ونشأته.

ولد سليم الأول عام (885ه) بأماسيا[1]، وهو ولد بايزيد الثاني والدته كليهازخاتون دامت سلطته من 1512-1520 حدود دولته 56557000م2[2]، هو تاسع سلاطنة آل عثمان وهوأول خليفة منهم لأن السلاطين بعده خلفاء أيضا أي أن كلا منهم سلطان وخليفة أي له السلطتان السياسية والدينية استولى على العرش سنة 918ه وعمره 46 سنة، نازعه[3] في الملك ابن أخيه علاء الدين[4] لكنه استولى على السلطة بعد الفتنة التي عصفت بحكم والده وإجباره على التنازل على العرش لأبنه سليم، وقد أبد سليم منذ البداية في حكمه ميلا إلى سفك الدماء فاستهل عهده بقتل عدد كبير من إخوته، وما لبث فيها بعد أن قتل عددا كبيرا من راعيته، وأقدر معاونيه وأيد جيش لخوض المعارك[5] لم يكن سليم مهتما بالأعمال العسكرية البحرية لأنه ورث عن آبائه شواطئ آمنةفوجه أنظاره إلى الأعمال البرية فأخترق الهضبة الفارسية سنة 1514 كونها كانت تشكل مصدر قلق له ولآبائه من قبل وبعدها هاجم الدولة المملوكية في معركتي مرج دابق 1516 و الريدانية 1517 و أزالها وغدت ممالكها جزءا من إمبراطورتيه.[6]

فرغم قسوته كان يميل إلى صحبة رجال العلم والدين والفكر والدين ورقي كثيرا منهم لتولي وظائف عليا وهامة وكان يصطحب المؤرخين والشعراء إلى ميدان القتال ليسجلوا تطورات المعارك ويشيدوا القصائد التي تحكي أخبار الماضي.

اهتم بشؤون حدوده التي كانت تواجه احتمال الغزو وبعد تولي الصفويين حكم فارس، خاصة وأنه كان أول حاكم عثماني على علم وثيق بأحوال الثغور الشرقية للإمبراطورية، فقد أقام عدة سنوات في طرابيزون وتخالف على حكام القرم، كما أعانه ابنه سليمان القانوني في تجسيد القوات البشرية التي أدت إلى توليه الحكم.[7]

عاش سليم أربعا وثمانين عام وقضى منها على تخت السلطة 8 سنوات وهوأول سلطان يطلق لجيشه كان رجال الدولة يعبونه بذلك فكان عالما وشاعرا يميل إلى حسن النظم له ديوان أشعار بالتركية والفارسية والعربية.[8]

1- إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العليا (التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليا)، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1408ه- 1988م، ص79.

2- محمود علي عامر: الدولة العثمانية، نشأتها، قياسها، انهيارها، ط1، دار الإعصار العلمي، عمان، الأردن، 1437ه-2016م، ص269.

3- جرجي زيدان: مصر العثمانيين، تح و درا وتع: محمد حرب، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1422ه-2002م، ص68.

4- عزتلو يوسف بك أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتها حتى الآن، ط1، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014م، ص62.

5- إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديثة، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1412ه-1992م، ص33.

6- محمود علي عامر، المرجع السابق، ص50.

7- إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص56.

8- عزتلو يوسف بك آصاف: المرجع السابق، ص95.

توفي 21-22 أيلول 1520م سرطان بسبب الأفيون[1] رحمه الله وجعل الجنة مأواه.

المبحث الثاني: صفاته.

يروي المؤرخون الذين عاصروا السلطان سليم الأول أنه رجلا فارغ الطول، عريض المنكبين وذو شارب عظيم[2] وقيل بأنه كان يضع أذنيه، لكن عددا من المؤرخين يشك بصحةهذا الأمر،ذلك لأن وضع الرجل للأقراط محرم في الإسلام، بما أنه يعتبر تشبها بالنساء[3]كذلك فقد كان عصبي المزاج سريع الغضب وذو شخصية ملحمية كما أبطال الروايات ويعرف عليه[4] بشراسته وحدة طبعه وحبه لسفك الدماء بالإضافة إلى أنانيته القاتلة وحبه لذاته.

ولقد كان سريع الفتك لمن يعارضه، مسرفا في قتل خصومه لا يعرف العفو مطلقا مع كل هذا كان فاضلا ذكيا حسن الطبع، بعيد الغور، صاحب رأي وتدبير،كما كان يتكلم اللغة العربية والتركية والفارسية، وكان محبوبا لدى الجند عموما والإنكشارية خصوصا، يحب الأدب والشعر الفارسي والتاريخ.[5]

ورغم قسوته كان يميل إلى صحبة رجال العلم ويلقب بالشعاع عند الأتراك نظرا لشجاعته وتصميمه في ساحة المعركة، ويعرف عند الغرب، عند الانجليز خصوصا باسم سليم العابس نظرا لما يقوله بعض المؤرخين بأنه كان دائما متجهم الوجه [6]وكان استراتيجيا فذا، وكانت

1- محمود علي عامر، المرجع السابق، ص281.
2- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي العهد العثماني، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت،2000، ص243.
3- محمود محمد الحويري: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002م، ص140.
4- المرجع نفسه، ص141.
5- إبراهيم حسنين: سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2014م، ص241.
6- إبراهيم حسنين: المرجع نفسه، ص241.

تأتيه تقارير من أنحاء العالم، وقد واجهته تحديات خطيرة تتصل بوراثة العرش استطاع حسمها.[1]

المبحث الثالث: تولي سليم الأول العرش.

لقد تمثلت الأوضاع الداخلية عشية اعتلاء سليم الأول العرش في ظهور منازعات خطيرة بين أبناء السلطان بايزيد الثاني من أجل السلطة والوصول إلى كرسي العرش.[2]

فكان لبايزيد الثاني ثمانية أولاد ذكور، توفي خمسة منهم وبقي ثلاثة،وهم كركود*،وأحمد وسليم، فسليم كان رجل حرب وبطش فأحبه الإنكشارية ونصروه، فالأمير سليم كان أكثر قدرة في شؤون الحرب والقتال لذا نال تأييد الإنكشارية وبقوات الحدود في أوروبا.[3]

فتربع السلطان سليم الأول على العرش العثماني في عام 918 ه وقد أظهر سليم منذ بداية حكمه ميلا إلى تصفية خصومه ولو كانوا من إخوته وأبنائه[4] كما كان عليه بعد اعتلائه العرش، تثبيت أقدامه في الحكم والتفاهم مع الدول الأوروبية الفاعلة ليتفرغ لأخطر أزمة وأجهتها الدولة منذ أعقاب معركة أنقرة ألا وهي القضية الإيرانية، وبخاصة أن النزاعات الأسرية كانت لا تزال ناشطة، فأخذ يعمل على تنحية أخيه الأكبر أحمد، الذي لا يزال يدعي حق ولاية العرش، بعد أن عينه والده خليفة له قبل أنيتنازل عن الحكم، وأيده أعيان الدولة، فعين ابنه سليمان حاكما على إستانبول وخرج على رأس جيش جرار إلى منطقة آسيا الصغرى لمحاربة أخيه أحمد وابنه علاء الدين الذي كان قد استولى على مدينة بورصة، ووضع حد لطموحاتهما السياسية.[5]

فافتقد أثر أخيه إلى أنقرة إلا أنه لم يتمكن من القبض عليه لأنه هرب إلى أماسيا، ولما لحق به سليم هرب إلى ملطية وأرسل إلى ابنه الآخر مراد إلى تبريز لطلب المساعدة من الشاه إسماعيل الصفوي، الذي كان يتحين الفرص للقبض على الدولة العثمانية[6]، وإن أحمد أخوا سليم كان يخونه من خلال الباشا إبراهيم الذي يجمع أخباره وعند علمه قام بقتل الوزير عبرة لغيره وجزاءا له.[7]

1- هدى درويش: الإسلاميون وتركيا العلمانية (نموذج الإمام سليمان حلمي)، ط$_1$، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1418ه، 1998م، ص31.

2- محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص202

*- كركود: في بعض المراجع يذكر باسم كركود وفي مراجع أخرى قرقوط.

3- محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص203.

4- علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط$_1$، ج$_1$، مكتبة حسين العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص251.

5- محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط$_3$، دار النفائس، بيروت، 1434ه-2013م، ص147.

6-محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص148.

7- المرجع نفسه، ص147.

ثم ذهب سليم الأول إلى بورضة ففتحها وضرب على أهلها الجزية الباهضة، ولما بلغ ذلك استخلفه ابنه سليمان وذهب لردع علاء الدين بسبعين ألف مقاتل من جهة البر، أما بحرا عمارة مؤلفة من مائة وخمسين مركب.[1]

قبض سليم الأول على خمسة من أولاد إخوته وقتلهم، وبعدما توجهبكل سرعة إلى صاروخان مقر أخيه كركود ففر منه إلى جبال وبعد البحث عليه وجده وقام بقتله عام 1513م.[2]

بعد أن تأكد سليم الأول من سيطرته على الحكومة في خلال أشهر قليلة من اعتلائه العرش، كانت المشكلة الصعبة التي واجهته هي التخلص من إخوته بغرض تأمين الدولة، لكنه حاول في البداية استرضائهم فسمح لأخيه قرقوط بالعودة إلى صارروخان (مانيسا) وأعطى لأخيه أحمد حكم قونية لكن أحمد أراد أكثر من ذلك، وأعلن نفسه سلطانا على الأناضول، ومما يشار إليه أن بعض أنصار أحمد أشاروا عليه بالحصول على المساعدة من الصفويين ضد سليم الأول، ولكن أحمد كان يبغض الشيعة بشدة.[3]

وبعد اطمئنان سليم الأول على عرشه وعلى سلامة الجبهة الداخلية، عاد إلى أدرنة حيث عقد معاهدات مع البندقية والمجر و روسيا[4]فاتحا بذلك عهدا جديدا من العلاقات السلمية مع أوربا لأنه أراد تركيز اهتمامه على الجبهة الشرقية لمواجهة الصفويين والمماليك[5]وبما أن مطامعه كانت موجهة إلى بلاد الفرس التي كانت أخذت في النمو والارتقاء في عصر ملكها إسماعيل شاه الشيعي فإنه فتح ولاية شيروان* وجعل مركزه مدينة تبريز** سنة 1501م، وبعدها فتح العراق العربي وبلاد خرسان وديار بكر*** سنة 1508م وأرسل أحد قواده فأحتل مدينة بغداد وفي سنة1510م ضم إلى أملاكه بلاد فارس وأذربيجان وبذلك امتدت مملكته من الخليج الفارسي إلى بحر الخزر ومن منابع الفرات إلى ما وراء نهر أموداريا.[6]

---

[1]- حضرة عزتلو يوسف بك آصاف، المصدر السابق، ص56.
[2]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص139.
[3]- محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 203،204.
[4]- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص139.
[5]- محمد جميل بيهم: العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، بيروت، 1957م، ص103.
*-شيروان: تقع في المنطقة الشمالية الغربية من إيران المعادية للاتحاد السوفياتي.
**- تبريز: تقع في الشمال الغربي من إيران بالقرب من الحدود التركية.
***- اليوم هي ولاية من ولايات الأتراك وتقع إلى الشمال من الحدود السورية وفي القديم كانت تطلق على منطقة واسعة مركزها ديار بكر.
[6]- محمد جميل بيهم: المرجع السابق، ص120.

المبحث الرابع: وفاة السلطان سليم.

في التاسع من شوال سنة ست وعشرين، ليلة السبت توفي السلطان سليم الأول رحمة الله عليه وأخفى طبيبه الخاص خبر وفاته عن الحاشية ولم يبلغه إلا للوزراء فاجتمع كل من بير محمد باشا و أحمد باشا ومصطفى باشا، وقرروا إخفاء هذا الأمر حتى يحضر الأمير سليمان من إقليم صاروخان خوفا من أن تثور الانكشارية كما هي عادتهم عند تولي كل سلطان فأرسل إلى سليمان خبر موت أبيه.[1]

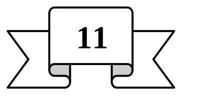
فلما وصل إلى القسطنطينية أعلنوا موت السلطان سليم وصلوا عليه في جامع السلطان محمد ودفنوه في محل قبره وأمر السلطان سليمان خان ببناء جامع عظيم وعمارة لإطعام الفقراء صدقة على والده.[2]

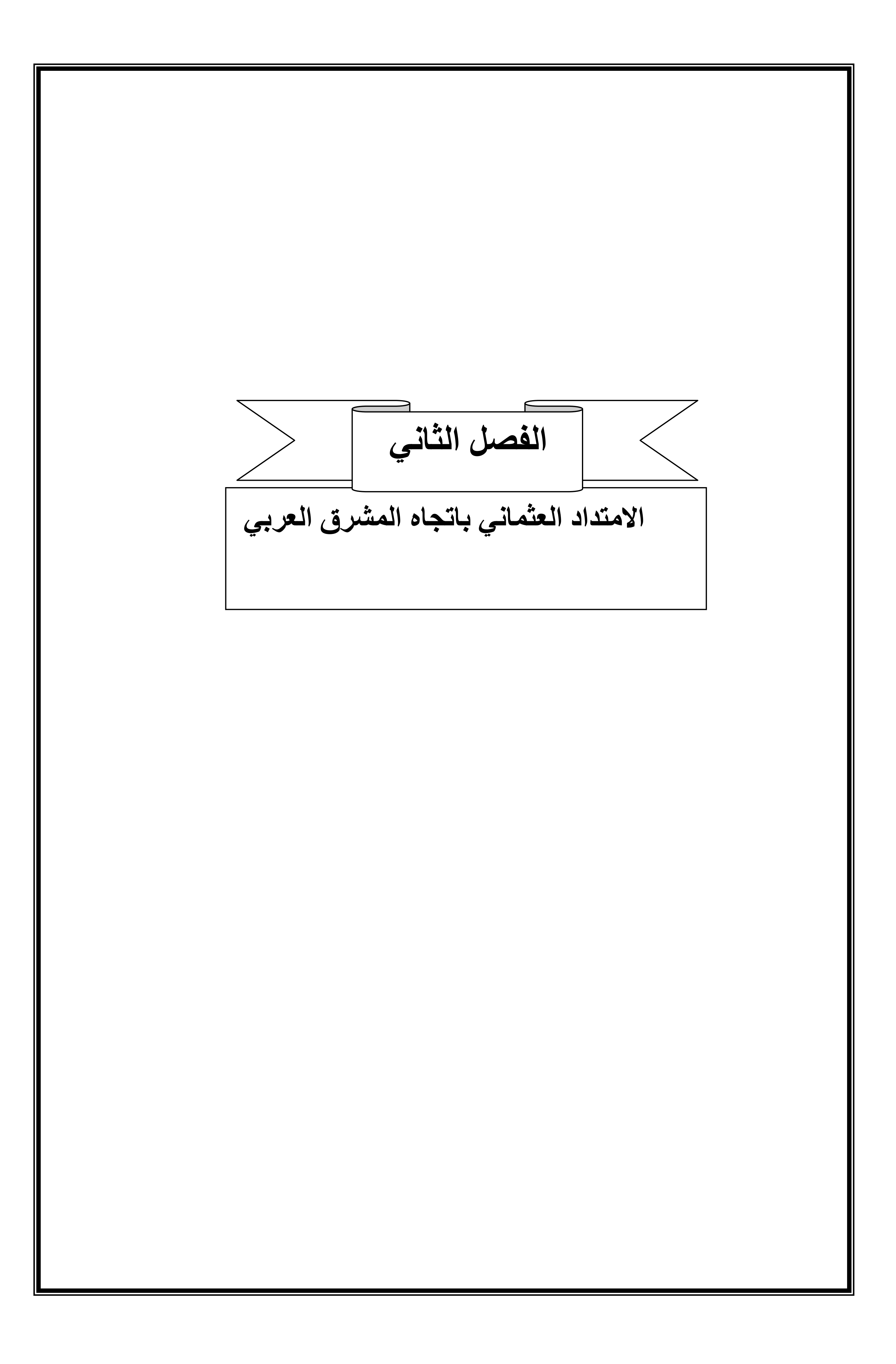
توفي رحمة الله تعالى عليه وله من العمر أربع وخمسون سنة وكانت مدة ملكه تسعة أعوام وثمانية أشهر.[3]

[1]- محمود محمد الحويري: مصر في العصور الوسطى، (من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني)، ط2، المكتب المصري، القاهرة، 2002م، ص220.

[2]- علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص280.

[3]- إبراهيم حسنين، المرجع السابق، ص241.





الفصل الثاني

الامتداد العثماني باتجاه المشرق العربي

المبحث الأول: أسباب توجه سليم الأول إلى المشرق العربي.

كانت الدولة العثمانية بحلول القرن السادس عشر تمتد أراضيها من بودا (عاصمة المجر) إلى البصرة جنوبا، ومن بحر القزوين شرقا إلى البحر المتوسط غربا.[1]

فعندما ارتقى السلطان سليم الأول العرش العثماني، كانت الدولة العثمانية قد وصلت إلى مفترق الطرق[2]، فحدث تحولان عظيمان كان لهما أثر عميق في تطور الدولة العثمانية والمجتمع العثماني، الأول هو ظهور قوة جديدة في إيران هي سلالة الصفويين* الشيعة، والثاني ضم العثمانيين للبلاد العربية.

فالواقع أن السلطان سليم الأول قد أحدث تغييرا جذريا في سياسة الدولة العثمانية الجهادية، فقد توقف في عهده الزحف العثماني نحو الغرب الأوروبي وكاد أن يتوقف حيث اتجهت الدولة العثمانية نحو المشرق الإسلامي، وقد ذكر البعض من المؤرخين الأسباب التي أدت إلى تغيير السياسة العثمانية منها:[3]

1-« التشبع العثماني في أوروبا، إذ يرى أصحاب هذا الرأي أن الدولةالعثمانية كانت قد ذبلغت مرحلة التشبع في فتوحاتها الغربية بنهاية القرن الخامس عشر، وأنه كان عليها في أوائل القرن السادس عشر أن تبحث عن ميادين جديدة للنشاط والتوسع، وهذا الرأي يخالفه الصواب لأن الفتوحات العثمانية لم تنقطع من الجبهة الغربية، ولكن لا ريب في أن مركزالثقل في التوسع العثماني قد انتقل نهائيا من الغرب إلى الشرق، ليس بسبب التشبع كما تقول بعض المصادر غير المدركة للواقع».[4]

2- كان تحرك الدولة العثمانية نحو المشرق من أجل إنقاذ العالم الإسلامي بصورة عامة والمقدسات الإسلامية بصورة خاصة من التحرك الصليبي الجديد من جانب الاسبان في البحر المتوسط والبرتغاليون في المحيط الهندي وبحر العرب والبحر الأحمر، الذين أخذوا يطوقون العالم الإسلامي، ويفرضون حصارا اقتصاديا حتى يسهل عليهم إقلاعه.[5]

3- سياسة الدولة الصفوية في إيران والمتعلقة بمحاولة بسط المذهب الشيعي في العراق وآسيا الصغري، هي التي دفعت الدولة العثمانية إلى الخروج إلى المشرق العربي لحماية آسيا الصغرى بصفة خاصة والعالم السني بصفة عامة.[6]

1- محمد عادل عبد العزيز: انهيار الخلافة العثمانية وتوابعه على مصر، دار غريب، القاهرة، 2007م، ص82.
2- محمد علي الصلابي: المرجع السابق، ص251.
*-الصفويين: أصل هذه السلالة من أذربيجان، وتنتسب إلى الشيخ صفي الدين، ومن اسمه أخذت السلالة اسمها، أنظر: محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 132 ،133.
3- محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص252.
4- المرجع نفسه، ص252.
5- أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 1999م، ص192.
6- عماد الدين خليل: مدخل إلى التاريخ الإسلامي، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1426ه-2006م، ص88.

ومن حيث الاعتبارات السياسية، فقد كان الأناضول التركي امتدادا طبيعيا للأراضي الإيرانية وأراضي آسيا الوسطى باعتبار أن العنصر التركي ذو الأصول الأسيوية قد سيطر في وقت من الأوقات على مجمل الأراضي من آسيا الوسطى حتى البحر الأبيض المتوسط و أقام دولة واسعة في هذه المناطق، وقد شكل قيام الدولة الصفوية في إيران حاجزا سياسيا قطع الاتصال بين العثمانيين وبين أصولهم الشرقية على الرغم من أن الشاه ظل يمثل آنذاك عالما تركيا آخر لكن باتجاهات مذهبية و اجتماعية مختلفة عن العالم التركي العثماني، أما من حيث الاعتبارات الفكرية، ففي الحكم والإدارة، وفي الأدب والفنون ظل السلاجقة* والعثمانيون من بعدهم يعتمدون اعتمادا كبيرا على المهاجرين من الشرق للقيام بشغل الإدارة وحكومتها، ومنذ إنشاء الدولة الصفوية في إيران عام 1502م انقطعت تركيا عن إيران وآسيا الوسطى اللتين أسهمتا في تطورها ونموها الثقافي إلى حد كبير.[1]

وكان التنافس على زعامة العالم الإسلامي قد بلغ آنذاك أشده بين القوى الإسلامية الثلاث العثمانيين والمماليك والصفويين، مما دفع العثمانيين إلى الاصطدام بالصفويين من جهة ومن جهة أخرى اصطدموا بالمماليك.[2]

فقد برز العثمانيون كقوة إسلامية فتية وكأنهم جاءوالاستجابةلنداء تاريخي، لضرورة زمنية اقتضت ظهورهم لحماية الأرض والأمة الإسلامية من هجوم غربي صليبي استعماري شامل، كان يعد العدة لاكتساح عالم الإسلام مستغلا ضعف قياداته ودولته وتمزقها وعدم امتلاكها القدرات المادية والروحية والبشرية للرد على التحدي الغربي.[3]

فإن سياسة الدولة العثمانية في زمن السلطان سليم الأول سارت على هذا الأساس وجعلته يتجه نحو المشرق العربي للقضاء على الدولة الصفوية الشيعية، وضم دولة المماليك، وحماية الأراضي المقدسة وملاحقة الأساطيل البرتغالية ودعم حركة الجهاد البحري في الشمال الأفريقي للقضاء على الإسبان ومواصلة الدولة جهادها في شرق أوربا.[4]

*- السلاجقة: بنو سلجوق، السلاجقة الكبار، سلاجقة أتراك، سلالة تركية حكمت في أفغانستان وإيران وأجزاء من الأناضول والعراق وسورية والجزيرة العربية ما بين 1038م-1157م، مقرها مرو ثم أصفهان.

1- عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص89.

2- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 135، 148.

3- عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص92.

4- محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص252.

المبحث الثاني: الصراع العثماني الصفوي.

يعد نسب الصفويين إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي (735-650ه/1252-1334م) الجد الأكبر للشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية.[1]

كان من المتصوفة الزاهدين وكان شافعي المذهب، ولم يدع أنه ينسب إلى آل البيت رضوان الله عليهم ولكن الكتب التي دونت في عهد الشاه إسماعيل وضعت له نسبا إلى الإمام موسى الكاظم الإمام السابع للشيعة الجعفرية أي إلى الحسين بنعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ويعتز الفرس بالدولة الصفوية اعتزازا كبيرا باعتبار أنها حققت حلمهم في الوحدة والسيادة القومية حيث أنه في عصر الصفويين حولت فارس إلى الدولة كل ما فيها تركي، كما كانت التركية لغة دواوينهم ومجالسهم.[2]

أسس الشيخ صفي الدين الدولة الصفوية في إيران في النصف الثاني من القرن 15 م وعندما تولى إسماعيل شاه السلطة(1502م-1524م) وحد إيران وأقام دولة قوامها القوة العسكرية والمذهب الشيعي.[3]

وجعل مدينة تبريز عاصمة لها، حاول الصفويين مد نشاطهم المذهبي والعسكري في آسيا الصغرى فشعر المسؤولون في استنبول بعظم الخطر الجديد و أدى ذلك إلى وقوع الصراع بين الطرفين أو الدولتين لأسباب التالية:

1- منافسة العثمانيين في منطقة الأناضول ومحاولة إثارة القلاقل.[4]

2- فرض إسماعيل شاه المذهب الشيعي على شعب وأعلنه مذهب رسميا للدولة في إيران.

3- سعي الدولة الصفوية على نشر المذهب الشيعي خارج حدود إيران وهذا الأخير هو أكثر العوامل إثارة لحفيظة العثمانيين وعزمهم لوضع حد لطموحات هذه الدولة.

4- تشجيع الدولة الصفوية بعض الأمراء العثمانيين على التمرد على الدولة العثمانية واستقبالها لهم.

وما زاد الأمر حدة هو تبادل سليم الأول والشاه إسماعيل رسائل عنيفة مفعمة بالسباب، فلما عصى السلطان سليم وإخوته السلطان بايزيد الثاني(والدهم).

1- علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص253.

2- زين العابدين شمس الدين: تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2010م، ص139.

3- محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989م، ص 18-19.

4- الغالي غربي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي، 1288ه-1916م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006م، ص56.

ساعد إسماعيل شاه الأمير أحمد على والده ثم على أخيه من بعده وقبل من فر من أولاده عنه وزيادة على ذلك أرسل وفدا إلى سلطان مصر يطلب منه التحالف لإيقاف[1]سير الدولة العثمانية متبينا له أنه إن لم يتفقا حاربت الدولة كلا منهما على حدته وقهرته وسلبت أملاكه ولإيجاد سبب للحرب أمر السلطان سليم بحصر عدد الشيعة المنتشرين في الولايات المتخاصمة لبلاد العجم بطريقة سرية ثم أمر بقتلهم جميعا.[2]

وبدأ سليم بتجهيز جيشه وكان واحدا من أقوى جيوش عصره من حيث عدد الجنود وتوعية الأسلحة النارية وكذلك من حيث كفاءة من يستخدمونها، أما قوات الشاه، فهم تضم وحدات فرسان أقل عددا، لكنها فعالة بشكل رهيب، وإن كانت بلا مدافع ولا بنادق[3]، وفي 1514سار الجيش العثماني تحت قيادة سليم الأول قاصدا مدينة تبريز وقد وقع القتال بين الجيشين في واد جالديران.[4] في البداية نجح الشاه في كسر الجناح الأيسر لجيش العثمانيين المؤلف من عساكر الروملي، فطلب الصدرالأعظم من السلطان بإطلاق المدفعية، فقال له السلطان[5]« لقد أقسمت على عدم إطلاقها فقال الصدر الأعظم – أنت أقسمت لكني لم أقسم تم أمر بإطلاق المدفعية على جيش الصفويين، حيث قتل وتفرق أغلب قادة وجيش الفزلباشية ووقع الكثير منهم في الأسر وظل الشاه إسماعيل يعدوا في ميدان المعركة بفرسه يحاول جمع (شتات) شتات جيشه واستطاع إنقاض بعضهم».

ولقد بددت المدفعية العثمانية شمل الجيش الصفوي وقام العثمانيون يسيطر على المعركة واستطاعوا الوصول إلى المعسكر الصفوي، حين يئس الشاه إسماعيل من المعركة توجه إلى مدينة درجزين في الطريق إلى تبريز.

وبهذا انتصر سليم على الشاه إسماعيل الصفوي في معركة تشالديران.[6]

- نتائج معركة تشالديران:

تترتب عن المعركة نتائج عدة أهمها:

1- أسفرت المعركة عن سيطرة العثمانيين على الأناضول الشرقية والجنوبية باستثناء القسم الواقع تحت السيطرة المملوكية وأخذ الأمراء الأكراد السنيون، الذين كانوا تحت الحكم الشيعي، ينضمون إلى العثمانيين.

2- خمود المشكلة الصفوية مدة عشرين عاما تقريبا، ذلك أن الضربة التي تلقتها هذه الدولة الصفوية لم تكن قاضية وتعذر على العثمانيين أن يسقطوا الحكم الصفوي.

---

[1]- محمود محمد الحويري: (من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني) المرجع السابق، ص 204، 205.
[2]- المرجع نفسه، ص205.
[3]- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م، ص103.
[4]- المرجع نفسه، ص104.
[5]- شوقي أبوخليل: سليم الأول العثماني وإسماعيل الصفوي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1426ه-2005م، ص 59، 63.
[6]- شوقي أبوخليل، المرجع السابق، ص 59، 63.

3- إن نتائج تشالديران كانت مخيبة لأمال الانكشارية الذين اقترحوا على السلطان سليم الأول، بعد المعركة أن يقضوا الشتاء في كراباغ بفعل الحالة الصعبة التي كان يمر بها[1]

شعور الدولة العثمانية بضرورة القضاء على القوة الثانية ألا وهي دولة المماليك.[2]

المبحث الثالث: أسباب الصراع العثماني المملوكي:

بعد أن رأى السلطان (سليم الأول)دولته قد أصبحت أقوى دولة إسلامية أنداك لذا عليه أن يقوم بالمهمة الملقاة على عاتقه في توحيد أبناء الأمة المسلمة، ورأى أن الأندلس قد سقطت على يد الأنصار الإسبان، ولم تعد هناك فائدة للضغط على أوربا من جهة الشرق للتخفيف عن المسلمين في الغرب.

ورأى أن أوربا النصرانيين لا يمكن مواجهتها إلا بالمسلمين كافة، لذا يجب أن يخضع المسلمون لدولة واحدة، ولا شك أن يفكر في أن هذا الخضوع يجب أن يكون للعثمانيين بصفة دولتهم أقوى الدول الإسلامية القائمة أنداك، ورأى أن دولة المماليك قد ضعف أمرهاولم تتمكن من تأدية دورها في مواجهة البرتغال.[3]كانت العلاقة العثمانية المملوكية جيدة في بداية الأمر وكثيرا ما تبادل حكام البلدين الهدايا في المناسبات، كما أن المماليك يحتضون عندما ينتصر العثمانيون على أوربا ولكن العلاقات بينهما كانت تسوء أحيانا، فقد تنازع الطرفان حينما استولى المماليك على فرص عام 1485م.[4]

بعد سنة من هزيمة الصفويين صمم سليم الأول على مهاجمة المماليك متعذرا أسباب منها:

1- الخلاف على تخطيط الحدود بين الدولتين في طرسوس في المنطقة الواقعة بين الطرف الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى وبين شمال الشام، فقد تأثرت في هذه المنطقة إمارات وقبائل تأرجحت ولائها بين الدولة العثمانية ودولة المماليك وكان هذا التأرجح مبعث اضطرابات في العلاقات بين الدولتين ومصدر نزاع مستمر، وأراد السلطان سليم أن يحسم مسألة الحدود بالسيطرة تماما على منطقتها وسكانها.

2- إن السلطان قانصوه الغورى(907 –966ه) (1501- 1514م) سلطان دورة المماليك أولى إليه بعض الأمراء العثمانيين الفارين من وجه سليم الأول وعلى رأسهم الأمير أحمد أخ السلطان سليم وأراد الغوري أن يتخذ من وجود هؤلاء الأمراء لديه أداة لإثارة مزيد من المتاعب في وجه سليم.

1- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص109.

2- محمد علي الصلابي: المرجع السابق، ص261.

3- محمد خير فلاح: الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد، 2005، د ط، د م، د س، ص44.

4- محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب: المرجع السابق، ص23.

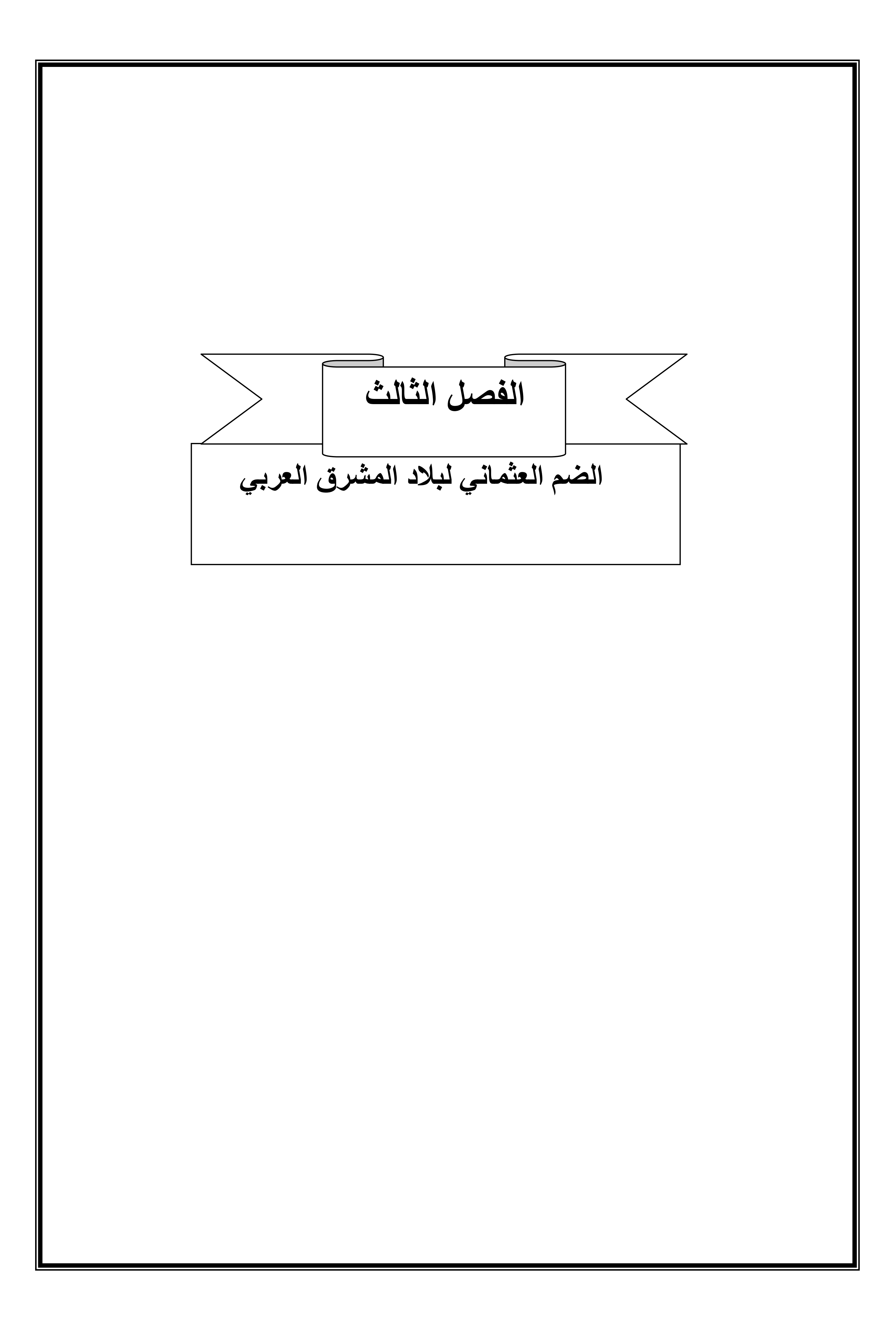
3- السياسة التي اتبعها السلطان الغوري أثناء الحرب التي قامت بين السلطان سليم وبين الشاه إسماعيل الصفوي، فقد وقف الغوري موقفا غير ودي مع العثمانيون دون أن يفيد هذا الموقف الشاه إسماعيل على الاطلاق فهو لم يلتزم الحيدة التامة بين العثمانيين والصفويين وهو لم يتخذ موقفا عدائيا صريحا من السلطان سليم.

ولهذه الأسباب لم تلبث ان اشتعلت الحرب بين الدولتين العثمانية والمملوكية واستطاع العثمانيون انزال هزيمة ساحقة بالجيش المملوكي مرج دابق شمال حلب [1]وكان خيار المواجهة هو رأي سليم لأن انتصارهم على المماليك انهاء لحالة الجمود القائم بين المماليك والعثمانيين[2] وزحف الجيش المملوكي ليقاتل الجيش العثماني في مرج دابق القرية القريبة من حلب 1518 و زحف سليم هو الآخر مع جيشه وكان مكونا من انكشارية و سباهية (فرسان) مخلصين بقوة للسلطان العثماني وكان من أحسن جيوش العالم وأصبح على مقربة من معسكر جيش المماليك بقيادة الغوري[3] وانتهت هذه المواجهة بهزيمة المماليك وسقط الغوري صريعا من على حصانه من صدمة الهزيمة.[4]

ولما رأى عمق الهزيمةالتي انزلها بالمماليك وسع نطاق الحرب وتساقطت تباعا في يده وفي غير عناء المدن الكبرى في الشام وحلب وحماد وحمص ودمشق التي أقام بها قرابة شهرين تسابق خلالهما الأمراء والأعيان إلى السلطان يعلنون ولاءهم للحكم الجديد.

وتشجع سليم الأول على غزو مصر بعد غزو الشام وواصل زحفه جنوبا حتى بلغ مصر، وكان الأمراء المماليك في مصر قد اختاروا طومان باي سلطانا للدولة المملوكية، واستعد لمواصلة الكفاح، والتحم الجيشان العثماني المملوكي في موقعة الريدانية في23 يناير923ه واشترك فيها السلطان سليم وطومان باي وكانت الخسائر من الجانبين فادحة[5]،هنا فر طومان باي إلى أحد المشايخ الأعراب واسمه حسن ابن مرعي طالبا حمايته، لكن الشيخ سلمه إلى العثمانيين، فرح سليم وصاح « الآن ملكنا مصر» وتجمع المراجع على شجاعةطومان باي عندما وقف بين يدي السلطان العثماني حيث عاتبه لأنه لم يطع أوامره، رد طومان باي« الأنفس التي تربت في العز لا تقبل الذل، وهل سمعت أن الأسد يخضع للذئب»[6] وهكذا حتى سبق طومان باي إلى باب زويلا حيث شق سنة 923ه(23 أفريل 1517م).[7]

1- عمر عبد العزيز عمر: الشرق العربي المعاصر، الإسكندرية، 1990م، ص 25،26.
2- يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مرا: محمود الأنصاري، م1، مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول، 1988م، ص221.
3- عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص90.
4- المرجع نفسه، ص62.
5- إسماعيل أحمد ياغي: المرجع السابق، ص30.
6- سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، لبنان، ص281.
7- إسماعيل أحمد ياغي: المرجع السابق، ص61.



الفصل الثالث

الضم العثماني لبلاد المشرق العربي

المبحث الأول: الضم العثمانيلبلاد الشام، معركة مرج دابق 1516.

أصبحت الإمبراطورية العثمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر من قوى العالم الكبرى، فأخذ السلاطين العثمانيون يتطلعون نحو الشرق العربي الإسلامي.[1]

وفي هذا الصدد قام الكثير من المؤرخين بمناقشة الدوافع الحقيقية التي أدت إلى الفتح العثماني للمشرق العربي، فإن رأي هولت أن مجريات الأحداث فرضت على السلطان سليم الأول غزو مصر أكثر مما فرضت عليه بأن يعمد إلى التخطيط لها كخطوة في بناء الإمبراطورية، ويدعم هذا الرأي المؤرخ أرنولد توينبي فإنه يرجع دوافع الفتح العثماني للشرق العربي هو ظهور قوة الصفويين في عهد الشاه إسماعيل الصفوي، كما يرى فريق آخر من المؤرخين أن خروج العثمانيين إلى المناطق هدفه حماية الشرق الأدنى الإسلامي من الخطر البرتغالي، وكذلك قال البعض الآخر أن الدولة العثمانية كانت قد بلغت مرحلة التشبع في فتوحاتها الغربية بنهاية القرن الخامس عشر، وأنه كان عليها في أوائل القرن السادس عشر البحث عن ميادين جديدة للنشاط والتوسع، وفي نهاية المطاف أجمع أغلب المؤرخين على أن هذه العوامل جميعها مسؤولة مسؤولية مشتركة عن الاتجاه الشرقي للدولة العثمانية.[2]

أعد السلطان الغوري جيشه وغادر به القاهرة إلى دمشق فدخلها في جمادي الأول 922ه سنة 1516م[3]، فقام السلطان قانصوه بتعبئة قواته، وبدأ بالزحف عبر بلاد الشام تاركا "طومان باي " أحد القادة الكبار نائبا عنه في القاهرة خلال غيابه.[4]

غادر السلطان قانصوه القاهرة في 18 ماي 1516م وجاء إلى سوريا لغرض التفتيش، وكان يصاحبه الخليفة المتوكل وقضاه للمذاهب السنية الأربعة[5]، وفي جوان وصل غزة وقضى بها خمسة أيام، ثم رحل بعد ذلك إلى دمشق فمكث بها تسعة أيام، ثم توجه بعدها إلى حمص، فحماه حتى وصل حلب في أوائل حزيران وجعل منها قاعدته الأمامية، وصلت أنباء تحركات الجيش المملوكي إلى القائد العثماني " سنان باشا " الذي كان معسكرا في ألبسنان التركمانية(ذي القادر التركمانية) فأرسل بذلك إلى السلطان سليم لإتخاذ الإجراءات العسكرية المناسبة لهذه التهديدات، فقام السلطان بالانضمام إلى قائده سنان باشا على رأس حملة كبيرة.[6]

وكان أمام العثمانيين خياران التجاهل أوالمواجهة فاختاروا الخيار الثاني لأن في انتصارهم على المماليك إنهاء لحالة الجمود القائمة بين المماليك والعثمانيين.

1- إبراهيم رزقانة: الجغرافية الإقليمية للعالم العربي الإسلامي (العالم الإسلامي غير العربي)، دار النهضة العربية، القاهرة، ص16.

2- موسى موسى نصر، صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية، مكتبة الأسرة، الإسكندرية، ص11.

3- عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص89.

4- الغالي غربي، المرجع السابق، ص79.

5- يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ص220.

6- المرجع نفسه، ص221.

قرر السلطان سليم الأول تكسير حالة الجمود القائم بين العثمانيين والصفويين بحسم أصر المماليك، هذا عن الجانب العثماني أما عن الجانب المملوكي، فإن السلطان الغوري لم يرى مفرا من القتال خاصة وأن قواته ليست بعيدة عن موقع تمركز الجيش العثماني لهذا أصر جيشه بالخروج من مدينة حلب والاستعداد للمواجهة المفروضة عليه.[1]

لم ينته السلطان سليم الأول من محاربة الشيعة وفتح ديار بكر والموصل حتى أخذ يستعد لفتح سلطنة مصر لأن سلطانها " قانصوه الغوري " كان قد تحالفا مع الشاه إسماعيل لمحاربة الدولة العثمانية، ولما علم السلطان أي سلطان مصر بتأهب السلطان العثماني لمحاربته أرسل إليه رسولا يعرض عليه أن يتوسط بينه وبين المعجم لإبرام الصلح، فلم يقبل بل طرد الرسول وأهانه.[2]

مهدت الرسائل التي أرسلها السلطان سليم الأول إلى قانصوه الغوري لإقامة الأمراء علاقات مع العثمانيين ومن هؤلاء الأمراء خيري بك أمير أمراء حلب المملوكي، الذي توطأ سرا مع العثمانيين قبل معركة مرجع دابق، وقدم معلومات مهمة عن الأحوال السياسية والعسكرية والإدارية والمالية للدولة المملوكية إلى العثمانيين.[3]

كان قاصوه الغوري يعلم برغبة سليم الأول الشديدة في دخولالبلاد الشامية، فقصد قانصوه حلب متظاهرا بالرغبة في إصلاح الأمور بين سليم وإسماعيل، لكن سليم الأول لكثرة جواسيسه بين المماليك، سار إلى بلاد الشام لتأديب قانصوه.[4]

في الوقت الذي كان فيه السلطان الغوري يجهز استعداداته لمواجهة العثمانيين وصلت رسالة من خيري بك نائب حلب تطمئن السلطان من ناحية العثمانيين، وأن سليم الأول لا يرغب في قتاله وقد تبين بعد ذلك أن خيري بك كان يخون سلطانه وبلاده لحساب العثمانيين وقد بعث بتلك الرسالة ليهدئ أعصاب سيده، ويصرفه عن الاستعداد للحرب.

أتم السلطان الغوري استعداداته وحشد جيوشه في الريدانية- شمالي القاهرة بيت المطرية والجبل الأحمر- استعدادا للخروج إلى الشام تحسبا لأية مفاجآت قد تصدر عن العثمانيين، وفي أثناء وجوده بالريدانية وصلته رسالة أخرى من خيري بك ومع تلك الرسالة رسالة أخرى من السلطان سليم موجهة إلى السلطان الغوري مليئة بالألفاظ الرقيقة والتواضع، ويقول فيها السلطان سليم " أنت والدي وأسألك الدعاء"، ويعلق ابن إياس على رسالة السلطان العثماني بقوله: " وكان هذا كله حيلا وخداعا من ابن عثمان حتى يبلغ بذلك مقاصده، وقد ظهرت حقيقة ذلك فيما بعد".[5]

1-الغالي غربي، المرجع السابق، ص60.
2- محمد الطاهر سحري: مختصر تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ط1، مطبعة المعارف، الجزائر، 2008م، ص123.
3- محمد الطاهر سحري، المرجع السابق، ص124.
4- محمود محمد الحوري: مصر في العصور الوسطى (من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني)، المرجع السابق، ص281.
5- المرجع نفسه، ص 282، 283.

أما السلطان قانصوه وضعه سيئا على الرغم من أنه كان يرى أنه لا مفر من القتال، وتمثل هذا الوضع بتخلي السكان المحليين عن المماليك وعدم مساعدتهم، بل أكثر من ذلك استعدادهم للثأر نتيجة الدعاية العثمانية التي وعدتهم بإرساء قواعد العدل، هذا فضلا عن وجود الانقسامات بين القادة الكبار في جيش المماليك(خيري بك حاكم حلب، جانبري الغزالي حاكم دمشق، وفخر الدين المعني حاكم لبنان) واستعدادهم للتخلص من قانصوه الغوري في سبيل المحافظة على مراكزهم.[1]

وزحف الجيش المملوكي ليقاتل الجيش العثماني في مرج دابق القريبة من حلب (1516م) أما الطرف الآخر العثماني كانت مصادر قوته العسكرية في نمو طيلةالقرنين الرابع عشر والخامس عشر،حيث كان مكونا من انكشارية وسباهية(فرسان) مخلصين بقوة للسلطان العثماني، وكان هذا الجيش من أحسن جيوشه العالم حينذاك و زحف به السلطان سليم الأول حتى نزل على مقربة من حلب(1516م) وأصبح على مقربة من معسكر جيش المماليك بقيادة الغوري.[2]

في 20رجب 922ه(19 أوت 1516م) تحرك قانصوه الغوري على رأس جيوشه لملاقاة سليم الأول[3]، وفي اليوم التالي وقف المماليك الجراكسة العثمانيون وجها لوجه في سهل مرج دابق، وهناك أشاعقانصوه الغوري أن جيش العدو يضم في صفوه المسيحيين وأرمن وشعوب أخرى بغيضة، وكان قانصوه يهدف بذلك إثارة الكراهية ضد العثمانيين بين صفوف جنده والشاميين المرافقين له، فضلا عن إعطاء تأثير مفاده أن الحرب بينه وبين سليم الأول حرب مقدسة يخوضها المسلمون ضد المسيحيين.[4]

وفي يوم25 رجب عام 922 هجري (24 أوت 1516م) استعد العثمانيون لخضوع معركة تعتبر واحدة من أهم المعارك التي خاضوها في تاريخهم[5]، ذلك أنهم لو حققوا انتصارا على المماليك، سيرفعون أيديهم عن حراسة الجزء الجنوبي الشرقي في آسيا الصغرى بالإضافة إلى أن انتصارهم سيمنحهم عالية في بقية البلاد الإسلامية الأخرى.

وأخذ السلطان الغوري يرتب عسكره بنفسه، فكان مكانه في القلب وحوله أربعون مصحفا شرفيا في أكياس من الحرير الأصفر يحملها جماعة من الأشراف، ومن حوله جماعة من الصوفية والأشراف ومعهم أعلامهم، وتولى قيادة ميمنة الجيش سيباي نائب الشام والميسرة خيري بك نائب حلب.[6]

1- يلماز أوزتونا: المدخل إلى التاريخ التركي، تر: أرشد الهرمزي، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1426ه-2005م، ص370.

2- عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص90.

3- مؤلف مجهول: التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية،ج3، ط2، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1995م، ص106.

4- ابن زنبل الهمال: آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تح: عبد المنعم عامر، إش: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998م، ص22.

5- فؤاد السيد، حسن حيدر: أعظم أحداث العالم من تاريخ ما قبل الميلاد حتى نهاية 2003م ،ط1، دار المناهل، بيروت، 1425ه، 2004م، ص100.

6- محمود محمد الحويري، مصر في العصور الوسطى (من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني) المرجع السابق، ص281.

لكن هزم الغوري بسبب وقوع الخلاف بين فرق جيشه المؤلف من المماليك وساعدت المدافع العثمانية على النصر وقتل الغوري اثناء انهزام الجيش وعمره ثمانون سنة وكان ذلك يوم الاحد 25رجب سنة 922ه(24 اوت 1516م).[1]

ودخل السلطان سليم حلب، ثم حصاه ودمشق، حيث التقى بالعلماء وأحسن إليهم بالعطاءات وأمر بترميم الجامع الأموي الذي تهدم بالزلازل، وفي دمشق لقب سليم بخادم الحرمين الشريفين، وكان هذا اللقب أول من لقب به هو السلطان قانصوه الغوري بعد تحصين جده ضد البرتغاليين.[2]

بعد انتصار سليم الأول انتصارا كبيرا في مزج دابق عرض على طومان باي الذي تولى السلطنة بعد الغوري أن يعلن خضوعه للسلطنة العثمانية في مقابل أن يسند إليه السلطان سليم حكم مصر، ولكن طومان باي لم يقبل، واضطر السلطان سليم إلى أن ينقل الحرب إلى مصر.[3]

انتصر العثمانيون على المماليك في معركة مرج دابق شمال غربي مدينة حلب السورية، وأصبحت سوريا التي فتحت في 1516م مجموعة من الولايات العثمانية الخاضعة للحكم المركزي دون أن يتخللذلك فترة انتقالية يمتلك فيها السلطة حاكم تابع.[4]

كما يفيد المؤرخ العربي الشهير ابن فضل الله العامري بأن السلاطين الأتراك كانوا يستندون إلى عنصر محارب قوي وقلاع صامدة وجبال شاهقة وهم أقوياء بأسلحتهم وعددهم[5]، كما أن الأتراك حكموا سوريا في القرن السادس عشر حتى عام 1918م، سوى فترات قصيرة مثل فترة نابليون، وحكم محمد علي في القرن التاسع عشر.[6]

-أسباب انتصار العثمانيين في معركة مرج دابق:

بعد أن ذهب السلطان الغوري بقواته عبر بلاد الشام نحو حلب سنة 922ه/1516م ليقطع الطريق مع السلطان سليم الأول السائر لمحاربة الشاه الصفوي مرة أخرى، لكنه اصطدم مع جيش المماليك وهو في مرج دابق شمالي الشام[7]، وانتصر سليم في المعركة و يرجع السبب إلى:

- الجيوش العثمانية جيدة التسليح والتجهيز وطبقت الأساليب التكتيكية الحديثة.

- لجأت هذه الجيوش إلى تدعيم مواقعها بواسطة قلاع متحركة، تشكلت من عربات مربوطة بعضها بالبعض الآخر.

1- محمد فريد بك المحامي: المصدر السابق، ص192.
2- عدنان العطار، المرجع السابق، ص58.
3- عبد العزيز سليمان نوار: المرجع السابق، ص92.
4- ثريا فاروقي: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، تر: حاتم الطحاوي، مرا: عصر الأيوبي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2008م، ص151.
5- يلماز أوزتونا: المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص384.
6- محمد صادق صبور: الصراع في الشرق الأوسط والعالم العربي، ط1، دار الأمين، القاهرة، 1427ه، 2006م، ص94.
7- شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج3، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م، ص1580.

- وزع السلطان سليم قواته ومدفعيته بحيث تستطيع الاختباء خلف سلاسل من العربات المتصلة بعضها ببعض وخلف حواجز من الأشجار والأعشاب.

- امتازت المعدات المقاومة للخيالة، كالشوكات، والخطافات الحديدية المربوطة بالحبال، بأهمية كبيرة في المعركة، إذ كان الجنود العثمانيون يطلقون هذه الأدوات على فرسان المماليك المدججين بالسلاح في سجون فرسانهم من على ظهور الخيل ويقتلونهم بالفأس أو بالسيف.

- كان العثمانيون يمتلكون أفضل مدفعية في العالم آنذاك واستخدموا أحسن أنواع المدفعية النحاسية المركبة على عجلات يجر الواحد منها زوج من الثيران، فيحين لم يعرف الجيش المملوكي مثلها.

- بالرغم من أن جنود الجيش العثماني كانوا ينتمون إلى قوميات مختلفة وطوائف دينية متعددة، إلا أن الجيش عرف بانضباطيته وتماسكه المعنوي على عكس الجيش المملوكي الذي تنازعه الإحجام.[1]

- انسحاب بعض أمراء الشام من الجيش المملوكي وانضمامهم إلى الجيش العثماني عند بدء القتال أمثال خيري بك نائب حلب وجانبردي الغزالي مما أثر سلبا على قوة ومعنويات السلطان الغوري.[2]

- تراجع القاعدة الإسلامية للمماليك بفعل الانتفاضات الشعبية ضدهم في القرى والمدن الإسلامية، فالفرنجة في بلاد الشام كانوا يتحينون الفرصة المناسبة لتحقيق أطماعهم في الاستيلاء على بيت المقدس،[3] فعندما قرب أجل الملك فرديناند الكاثوليكي سنة 1516م أوصى أولاده قائلا: " عليكم أن تحملوا على تحطيم أتباع الديانة المحمدية "، ويقصد بذلك استئصال المسلمين من جذورهم والقضاء على الإسلام.[4]

1- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص 155، 156.
2- محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: المصدر السابق، ص76.
3- محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: المصدر السابق، ص 76، 77.
4- المصدر السابق، ص77.

المبحث الثاني: الفتح العثماني لمصر- معركة الريدانية.

1- ضم مصر:

إن النصر الذي أحرزه العثمانيون في مرج دابق منحهم السيادة على الشام، وصلت أخبار الهزيمة إلى القاهرة في الرابع عشر من سبتمبر أيلول، أي بعد ثلاثة أسابيع من المعركة، فاجتمع من بقى على قيد الحياة من قادة المماليك في القاهرة لينتخبوا سلطانا جديدا واختاروا أن يولو نائب قنصوة الأشرف طومان باي خليفة له.[1]

كتب سليم الأول رسالة إلى طومان باي من دمشق يعرض عليه فيها أحد خيارين أن يستسلم ويحكم مصر بصفته تابعا للعثمانيين[2]، فلم يقبل بل استعد لملاقاة الجيوش العثمانية عند الحدود، فالتقيت مقدمتا الجيشين عند حدود بلاد الشام وهزمت مقدمة المماليك واحتل العثمانيون مدينة غزة على طريق مصر.[3]

وبعد أن هزمت الحملة العسكرية التي أرسلها طومان باي Toman Bey بقيادة جان بري الغزالي للدفاع عنها وقد أثرت هذه الأنباء على معنويات المماليك بخاصة بعد ورد أنباء عن مذبحة قام بها العثمانيون وقد كانت خطة طومان باي أن يتقدم للقاء الجيش العثماني قبل أن يصل إلى موارد المياه.[4]

1- يوجين روجان: العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، تر: محمد إبراهيم الجندي، ط1، كلمات عربية للترجمة والنشر، 2011م، ص30.

2- المصدر نفسه، ص31.

3- فريد بك المحامي: المصدر السابق، ص193.

4- الغالي غربي: المرجع السابق، ص62.

2-واقعة الريدانية 1916م-1917م.

استعد طومان باي و أبدى جهودا في تجهيز جيشه بشكل تام وقام بتحصين القاهرة[1] لأنه استفاد من تجربة مرج دابق فألغى التقليد الفروسي الذي يقضي بحضر الأسلحة النارية، و زود عددا كبيرا من جنده بالبنادق كما شكل صفا من مئة عربة تحمل مدافع خفيفة لمواجهة المهاجمين، غير أن جيش المماليك الذين لم يكونوا يحصلون على رواتبهم، ويفتقرون للثقة بالنفس ولا يمكن الاعتماد عليهم إلى حد كبير، واستقبل يوم المعركة بروج مجموعة من الرجال يحاربون من أجل النجاة بحياتهم لا من أجل النجاة بحياتهم لا من أجل إحراز النصر.[2]

لقد التقى الطرفان في عام 1917م في الريدانيةRaydania لكن نتيجة المعركة كانت لمصالح الجيش العثماني وذلك أن العثمانيون هجموا على الجند المصريين من جهتين فرقة جاءت من تحت الجبل الأحمر والفرقة الأخرى جاءت للجنود المصريين عند الوطاق بالريدانية، وقذفوهم بالبنادق والرصاص وكان هجوم العثمانيين عنيفا فانهزم جيش طومان باي وبقي معه قليل من الجند الرماة[3] والمماليك فلما ادرك طومان باي الا حيلة له في مواصلة القتال اسرع بالانسحاب من المعركة فهجم العثمانيون على الوطاق المصري واستولوا على جميع ما فيه من اقمشة واسلحة وخيول وجمال وابقار وعربات وغير ذلك. [4]

ولقد كانت المواجهة حاسمة بين العثمانيين والمماليك في الريدانية حين لحقت بطومان باي هزيمة قاسية رغم انه حارب بشجاعة وجرأة، الا ان في الواقع هزيمة المماليك في الريدانية جاء نتيجة خيانة جان بردي الغزالي الذي قد اتصل بشريكه في الخيانة الأمير خايربك وأعلمه بخطة السلطان طومان باي.[5]

دخل العثمانيون القاهرة ومعهم الخليفة العباسي أمير المؤمنين المتوكل على الله وجماعة القناة وأعلن سليم للناس الاطمئنان والبيع والشراء وخطب على منابر مصر والقاهرة وبعد أن تم الأمر للسلطان العثماني وفتح مصر والقاهرة.[6]

ولما خضعت مصر للعثمانيين عام 1517م فإن حكمهم لم يكن إلا امتدادا لحكم وأنظمة المماليك مع بعض التعديلات ثم أضافوا الطابع التركي على الحياة.

---

[1]- يلماز أوزتونا: المصدر السابق، ص227.
[2]- يوجين روجان: المصدر السابق، ص31.
[3]- جرجي زيدان، المرجع السابق، ص205.
[4]- محمود السيد: تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004م، ص 88، 89.
[5]- محمد بن أحمد بن أياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج5، ط3، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1404ه-1984م، ص 144، 166.
[6]- محمود السيد: المرجع السابق، ص 88، 89.

المبحث الثالث: الضم العثماني للعراق- الحجاز و اليمن.

1- الضم العثماني للعراق:

بعد أن أخضع العثمانيون بلاد الشام ومصر أخذوا يتطلعون إلى إخضاع العراق فيجمعوا بذلك المشرق العربي تحت سيطرتهم ويحولون دون التوسع الصفوي في هذه المنطقة.[1]

ولقد بدأت عملية ضم العراق إلى الدولة العثمانية مبكرا إذ تعود إلى عقب انتصارهم على الصفويين في معركة جالديران 1514م فقد ضم السلطان سليم الأول المناطق الشمالية منه.[2]

لكن الوسط والجنوب فقد ظل تحت السيطرة الصفوية[3]، حتى عهد السلطان سليمان القانوني الذي عهد إلى إبراهيم باشا الصدر الأعظم بقيادة الحملة التي غادرت استنبول في 2 ربيع الثاني940 ه-21 اكتوبر1533م واتجه نحو ديار بكر، وجرت الاشتباكات بينه وبين الأمراء المحليين في مناطق الحدود وأعتبر كثيرون منهم بالسيادة العثمانية ثم انطلق إلى تبريز فاحتلها في 01 محرم 941ه/17 يوليو1534م وقدم الأمراء المحليون خضوعهم.[4]

ومكث بها الصدر الأعظم إبراهيم باشا لحين وصول السلطان سليمان ولم يلبث أن تقدم الجيش العثماني عبر شمال غربي فارس دون أن يلقى مقاومة من جانب الصفويين ثم وصل

1- زين العابدين بن شمس الدين نجم: المرجع السابق، ص169.
2- الغالي غربي: المرجع السابق، ص65.
3- المرجع نفسه، ص66.
4- زين العابدين شمس الدين نجم: المرجع السابق، ص170.

إلى سهل العراق عن طريق همدان وقد استطاعت قوات السلطان سليمان عنه ولم يرسل له أي هرم ففر إلى فارس وعلى إثر ذلك دخل العثمانيون بغداد بدون قتال.[1]

- وقضى السلطان سليمان الشتاء في بغداد، ثم عاد إلى إستانبول مازا بتبريز بعد أن عين سليمان باشا الهجري واليا على بغداد وبذلك فرض العثمانيون سيطرتهم على وسط وشمال العراق، أما البصرة فكان حاكمها من مشايخ العرب يخضعون لحاكم بغداد بصرف النظر عن انتماءاته، فكان راشد بن مغامس حاكم البصرة خاضعا للشاه الصفوي، ثم أعلن ولاءه للسلطان العثماني بمجرد استلائه على بغداد، فأقره السلطان العماني لجنوب العراق، وأصبحت العراق كلها خاضعة للعثمانيين.[2]

- وقد قسمت الدولة العثمانية العراق إلى أربع ولايات:

1- ولاية الموصل: وتشمل مدينة الموصل والجزء الشمالي الغربي من العراق وتمتد جنوبا إلى تكريت.

2- ولاية شهرزور(كردستان) وتقع إلى الشرق من ولاية الموصل وكانت مدينة كركوك مركز هذه الولاية ولم تعمر طويلا، بعد أن ترك العثمانيون الحكم فيها للعصيات المحلية الكردية.

3- ولاية بغداد: وكانت أقوى ولايات العراق وأهمها ولما كانت تتمتع به من مكانة عظيمة وشهرة فائقة بين مدن العالم الإسلامي منذ أن كانت عاصمة للخلافة العباسية وكانت تضم أكبر مركز ثقافي واقتصادي في العراق وكانت ولاية بغداد تتحمل مسؤولية الدفاع عن ولاية شهرزور و ولاية البصرة ضد أي أخطار تتعرضان لها.

4- ولاية البصرة: وكان من الصعب تثبيت الحكم العثماني فيها بسبب تعرضها باستمرار للغازات الفارسية، ولهجات قبائل البدو الغربية فبعد الفتح العثماني للعراق بقليل، ثارت القبائل العربية في البصرة على الحكم العثماني وأنظم إليها حاكمها راشد بن مغامسة.[3]

فأمر السلطان العثماني إياس باشا وإليه على بغداد أن يقود حملة تأديبية ضد قبائل الجنوب عام 1546م، أطاحت الحملة بالتمرد وأكدت السيادة العثمانية على جنوب العراق، فيما فر راشد بن مغامس إلى الأحساء، وهي إقليم شبه مستقل يخضع لحاكم يتمتع باستقلال ذاتي، لكنه يدفع ضريبة سنوية للدولة العثمانية حاولت الدولة الصفوية استعادة سيطرتها على

1- حلمي محروس إسماعيل: تاريخ العرب من الغزو العثماني إلى نهاية ح ع 1، كتاب الجامعة، 1998م، ص22.

2- فضل الكريم يوسف الستر: الدولة العثمانية فيعهد السلطان سليم الأول، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، 2012م، ص26.

3- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص23.

العراق مرة أخرى سنة 1612م، لكن الدولة العثمانية تمكنت في عهد مراد الرابع من إعادة العراق تحت السيادة العثمانية حتى الحرب العالمية الأولى.[1]

2-الضم العثماني الحجاز واليمن:

أ-خضوع الحجاز:

بعد سقوط مصر في أيدي **الأ**تراك العثمانيين امتداد سيادتهم إلى الحجاز امتدادا سليما، فالحجاز بسبب الحماية التي توفرها مصر والعون الذي تمد به، ممثلا في الأموال والغلال التي ترسلها لفقراء مكة والمدينة والمرتبات والهدايا للأشراف كان يتبع مصر تبعيةتلقائية، بمعنى أنه لم يكن يرتبط بدولةمعينة في مصر، بل كان يرتبط بمصر ذاتها بصرف النظر عن الحكومة أو الدولة القائمة فيها.

وكان يتولى حكم مكةالمكرمة قلب الحجاز ومركز الأرض المقدسة الشرقيون أوالأشراف الحسنيون، الذين ينتمون إلى علي ابن أبي طالب زوج ابنة الرسول الله (ص)فاطمة الزهراء ولهذا يعد الحجاز في نظر الخليفة أي خليفة يسعى إلى الاستخلاف على العالم الإسلامي[2] أمرا حيويا لما للحجاز من مكانة خاصة في نفوس المسلمين ولذلك كان من الطبيعي أن يكون الحجاز محط آمال السلطان سليم الأول مدركا تمام الادراك أن ضمه البلاد المذكورة ستقوي مكانته في العالم الإسلامي خاصة بعد أن أصبحت دمشق تحت حكمه والقاهرة في قبضته، وأصبح الخطباء يخطبون بإسمه على مناظر بغداد وتبريز[3].

وقد كان الحجاز تابعا للمماليك وما إن وصلت أنباء مقتل الغوري و طومان باي إلى شريف مكة بركات بن محمد بركات (1495م-1524م) حتى بادر إلى تقديم الطاعة إلى السلطان سليم الأول في مصر، فأرسل إبنه أبو نمي [4]والبالغ من العمر ثلاثة عشرة عاما في 1517م وسلمه مفاتيح الكعبة وبعض الآثار فأقر السلطان سليم شريف الحجاز بركات باعتباره أميرا على مكة والحجاز، ومنحه صلاحيات واسعة.

وبذلكأصبح السلطان سليم خادما للحرمين الشريفين وأصبحت مكانته أقوى أمام الشعوب الإسلامية، وخاصة أن الدولة أوقفت أوقافا كثيرة على الأماكن المقدسة وكانت إراداتها تصب في خزانة مستقلة بالقصر السلطاني وقد أدى ضم الحجاز للعثمانيين إلى بسط السيادة العثمانية في البحر الأحمر مما أدى إلى دفع الخطر البرتغالي عن الحجاز والبحر الأحمر، واستمر هذا حتى نهاية القرن الثامن عشر.

ب- ضم اليمن:

ترتب عن الفتح العثماني لمصر سنة 1517م وسط السيادة العثمانية على الحجاز، وهما اقليمان مطلان على البحر الأحمر وظهور العثمانيين في هذا البحر حيث ورثوا تركة الدولة المملوكية المثقلة بالمشكلات في مقدمتها مسألة دخول طريق التجارة العالمية من البحر

1-حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص24.

2- إسماعيل أحمد ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، 1418ه-1997م ، مكتبة العبيكان، الرياض، ص32.

3- عبد المنعم الهاشمي: الخلافة العثمانية، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1425ه-2004م، ص270.

4- عيسى الحسن: تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط1، الأهلية، بيروت، 2008م، ص404.

الأحمر على رأس الرجاء الصالح، والانهيار الاقتصادي الذي حدث في المنطقة نتيجة هذا التحول والتفوق البرازيلي الساحق في منطقة الخليج العربي ومواجهة في خطر البرتغالي البحر الأحمر[1]عندما انهار النظام المملوكي في مصر[2] وضعف سلاطين المماليك الجراكسة الذين عرفوا البرجية وحكموا مصر من سنة 1382م إلى 1517م [3].

أرسل إسكندر الجركسي حاكم اليمن المملوكي وفدا إلى السلطان سليم ليقدم فروض الولاء والطاعة له، فوافق السلطان العثماني على إبقائه في منصبه[4] .

ولكن السيطرة العثمانية على اليمن كانت ضعيفة ويعود ذلك إلى الصراعات الداخلية بين القادة المماليك إلى جانب ازدياد نفوذ الإمامة الزيدية بين قبائل الجبال، هذا فضلا عن الخطر البرتغالي الذي كان يهدد السواحل اليمنية، وهذا دفع السلطان إلى إرسال قوة بحرية إلا أنها فشلت بسبب النزاع الذي دب بين قائدها حسين الرومي متصرف جدة، والريس سلمان أحد قادة البحر العثمانيين، لكن اليمن هي مفتاح البحر الأحمر وهي بالتالي التي تضمن سلامة الأماكن المقدسة في الحجاز والسيطرةعليها للتحكم في البحر الأحمروالعربي[5] ولم يكن باستطاعة العثمانيين السيطرة على اليمن إلا في عام 1538م أي بعد نحو عشرين عاما من دخولهم مصر.[6]

المبحث الرابع: انعكاساتسياسة سليم الأول في المشرق العربي وآثارها.

1- إسماعيل أحمد ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، 1418م-1997م، ص75.

2- أحمد حسين عبد الجابوري: القدس في العهد العثماني(1515م-1640م)، ج1، ط1، دار الحامد، عمان، 2011م، ص42.

3- أحمد محمود القومي: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية (الإسلامية والمسلمون في مصر)، م3، دار الكتاب العربية، القاهرة، 2008م، ص48.

4- عيسى الحسن، المرجع السابق، ص494.

5-جميل بيضون : شحادة الناضور، علي عكاشة: تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل، 1412ه-1991م، د م، ص41.

6- أحمد النعيمي: تركيا والوطن العربي (1428ه، 1998 م)، أكاديمية الدراسات العليا والبحوث الاقتصادية، طرابلس، ص15.

قام سليم الأول خلال ثمانية سنوات بأعمال لا يستوعبها العقل، وجعل من الإمبراطورية العثمانية دولة عالمية حقيقية كبرى (1517) وحافظت الدولة العثمانية على فتوحاته مدة أربعة قرون، فترك دولة مخيفة لأعدائها تمتد بين فاس وحضرصون، سودان وروسيا كان هدفه أن يحقق في إيران ما حققه صلاح الدين الأيوبي في مصر من حيث القضاء على الحكم الشيعي.[1]

فالحقيقة أن السيطرة العثمانية في عهد سليم الأول على الجبهة الشرقية جاءت مترافقة مع محاور الخطوط الجغرافية ذات النقاط الاستراتيجية، وقد سيطر عليها السلطان العثماني بالتعاقب، وهي على النحو التالي:

أ- محاور ما بعد معركة تشالديران.

1-خط تبريز- أريقان- كراباغ- عام (920ه/1514م).

2- خط أصاسيا- كماخ- عام (921ه/1515م).

3- خط ديار بكر- ماردين – الموصل (شمال العراق) عام (922ه/ 1519م).

ب- محار ما بعد معركة مرج دابق.

1- خط حلب – دمشق – القدس – غزة – خان يونس (922ه-1516م).

- الريدانية – القاهرة – الإسكندرية (923ه- 1517م).[2]

كما كان للغزو العثماني للشرق العربي ووصولهم للبحار الشرقية عدة نتائج أهمها:

1- امتداد ممتلكات العثمانيين إلى أقاليم تقع على البحر الأحمر والخليج العربي والبحر العربي، مما أوجب عليهم إنقاذها من الخطر البرتغالي الزاحف من المحيط الهندي، وبذلك فرضت الحرب نفسها فرضا على العثمانيين ضد البرتغاليين.

2- اكتسبت الدولة العثمانية صبغة عربية لم تكن لها من قبل، وأصبح العرب يكونون نسبة كبيرة من سكان الدولة العثمانية.

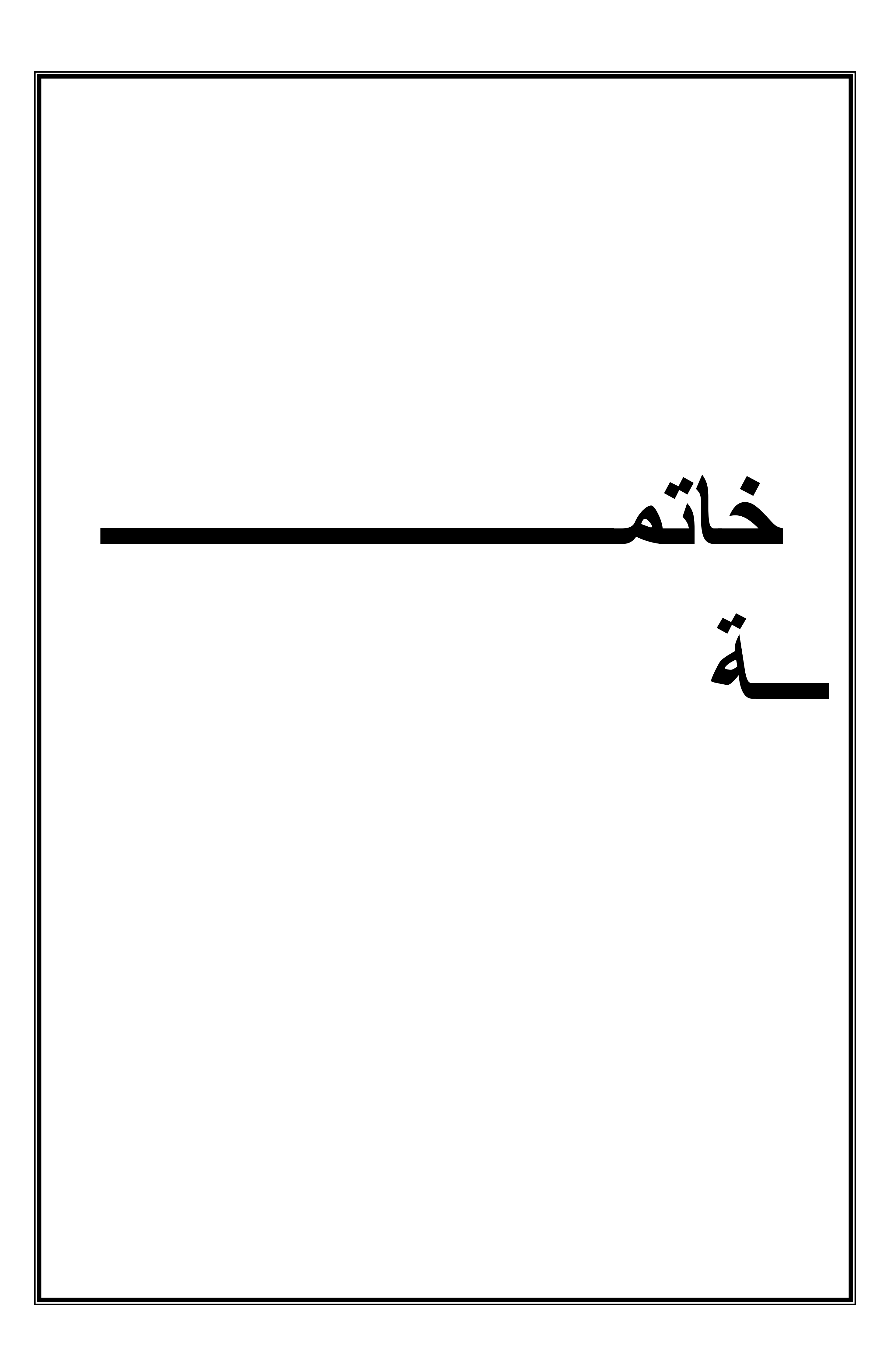
3- تدعيم مركز الدولة العثمانية كدولة إسلامية، بعد ضم الأماكن الإسلامية المقدسة.[3]

---

[1]- يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مراجعة محمود الأنصاري، ط1، ج1، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1408ه-1988م، ص237.

[2]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص354.

[3]- زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص174.


خاتمـــــــــــــــــة

خاتمة:

ومما تقدم ذكره يمكن استنتاج ما يلي:

يعد السلطان سليم الأول أعظم سلاطين الدولة العثمانية، وذلك بما تمتع به من مواصفات خاصة والتي جمعت القدرات القيادية الحربية والنشاطات الذهنية والجسدية.

جعل السلطان سليم الأول من الدولة العثمانية دولة قوية يهباها أعدائها وذلك في فترة وجيزة دامت ثماني سنوات وخمسة أشهر إذ قام بأعمال جبارة التي ظهرت من خلال توسعاته.

بروز السلطان سليم كقائد عسكري بعد المعارك التي قام بها في كل من الشام ومصر وكذا ضم الحجاز والمدن الإسلامية المقدسة.

لقد أسفرت الحرب العثمانية الصفوية على العديد من النتائج وأهمها استئصال الشيعة من الأناضول وحصر المذهب الشيعي في إيران.

عن سقوط دولة المماليك أكسب الدولة العثمانية امتدادا جغرافيا مهما حيث امتدت حدود الدولة في الجنوب من النوبة إلى سواكن بالسودان.

من أهم النتائج التي تمخض عنها حلول العثمانيين محل المماليك هي حماية العالم الإسلامي من الأخطار الخارجية المتمثلة في الخطر البرتغالي والاسباني.

لقد قام سليم الأول خلال ثمانية سنوات بأعمال لا يستوعبها العقل وجعل من الإمبراطورية العثمانية، ودولة من الدول العالمية الكبرى.

كما حافظت الدولة العثمانية على فتوحات السلطان سليم الأول مدة أربعة قرون.

والله ولي التوفيق.

قائمة الملاحق

ملحق رقم(1)



المماليك والصفويين[1]

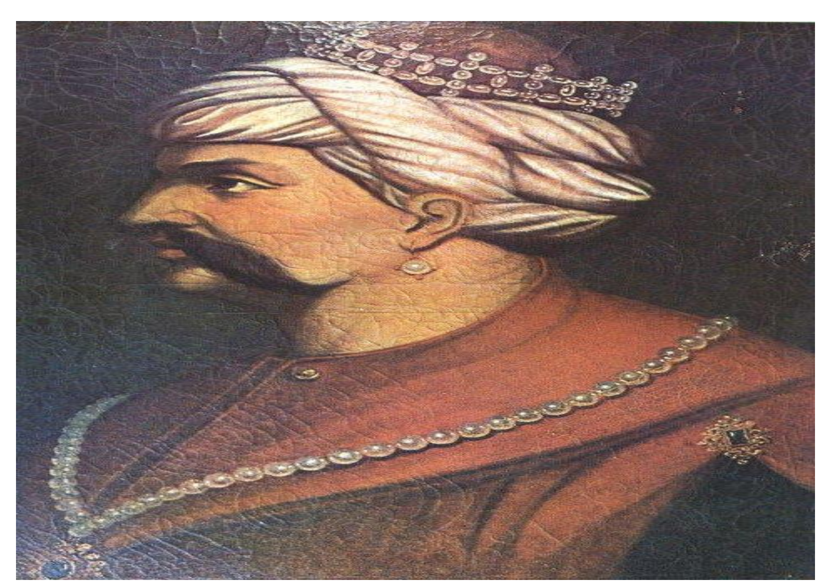
-ملحق رقم(2)

[1]- هاني خيرو أبو غضيب: أطلس تاريخ العالم القديم والمعاصر، المكتبة الجامعية، 2004، ص68.



قانصوه الغوري

ملحق رقم(03)



السلطان: سليم الأول[1]

ملحق رقم(04)

[1]- شوقي أبوخليل: تشالديران(سليم الأول وإسماعيل الصفوي)، ط1، دار الفكر، دمشق، 1426ه،2005، ص 49، 78.



صورة لمدينة تبريز اليوم[1]

[1]- شوقي أبوخليل: تشالديران (سليم الأول وإسماعيل الصفوي)، المرجع السابق، ص67.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمرجع:

1. إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العليا (التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليا)، ط$_1$، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1408ه- 1988م.
2. إبراهيم حسنين: سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط$_1$، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2014م.
3. إبراهيم رزقانة: الجغرافية الإقليمية للعالم العربي الإسلامي (العالم الإسلامي غير العربي)، دار النهضة العربية، القاهرة
4. ابن زنبل الهمال: آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تح: عبد المنعم عامر، إش: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط$_2$، الهيئة المصرية العامةللكتاب،1998م.
5. أحمد النعيمي: تركيا والوطن العربي(1428ه- 1998 م)، أكاديمية الدراسات العليا والبحوث الاقتصادية، طرابلس.
6. أحمد حسين عبد الجابوري: القدس في العهد العثماني(1515م-1640م)، ج$_1$، ط$_1$، دار الحامد، عمان، 2011م.
7. أحمد محمود القومي: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية (الإسلامية والمسلمون في مصر)، م$_3$، دار الكتاب العربية، القاهرة، 2008م.
8. إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديثة، ط$_1$، مكتبة العبيكان، الرياض، 1412ه-1992م.
9. إسماعيل أحمد ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، ط$_1$، 1418ه-1997م ، مكتبة العبيكان، الرياض.
10. أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 1999م.
11. ثريا فاروقي: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، تر: حاتم الطحاوي، مرا: عصر الأيوبي، ط$_1$، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2008م.
12. جرجي زيدان: مصر العثمانيين، تح و درا وتع: محمد حرب، ط$_1$، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1422ه-2002م.
13. جميل بيضون : شحادة الناضور، علي عكاشة: تاريخ العرب الحديث، ط$_1$، دار الأمل، 1412ه-1991م.
14. حلمي محروس إسماعيل: تاريخ العرب من الغزو العثماني إلى نهاية ح ع 1، كتاب الجامعة، 1998م.
15. زين العابدين شمس الدين: تاريخ الدولة العثمانية، ط$_1$، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2010م.
16. سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، لبنان.
17. شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج3، ط$_1$، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م.
18. شوقي أبوخليل: تشالديران (سليم الأول وإسماعيل الصفوي)، ط$_1$، دار الفكر، دمشق، 1426ه،2005.

19. عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة.
20. عبد المنعم الهاشمي: الخلافة العثمانية، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1425ه-2004م.
21. عزتلو يوسف بك أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتها حتى الآن، ط1، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014م.
22. علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، ج1، مكتبة حسين العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
23. عماد الدين خليل: مدخل إلى التاريخ الإسلامي، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1426ه-2006م.
24. عمر عبد العزيز عمر: الشرق العربي المعاصر، الإسكندرية، 1990م.
25. عيسى الحسن: تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط1، الأهلية، بيروت، 2008م.
26. الغالي غربي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي، 1288ه-1916م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006م.
27. فضل الكريم يوسف الستر: الدولة العثمانية فيعهد السلطان سليم الأول، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، 2012م.
28. فؤاد السيد، حسن حيدر: أعظم أحداث العالم من تاريخ ما قبل الميلاد حتى نهاية 2003م ،ط1، دار المناهل، بيروت، 1425ه، 2004م.
29. محمد الطاهر سحري: مختصر تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ط1، مطبعة المعارف، الجزائر، 2008م.
30. محمد بن أحمد بن أياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج5، ط3، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1404ه،1984م.
31. محمد جميل بيهم: العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، بيروت، 1957م.
32. محمد خير فلاح: الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد، 2005، د ط، د م، د س.
33. محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، 1434ه-2013م.
34. محمد صادق صبور: الصراع في الشرق الأوسط والعالم العربي، ط1، دار الأمين، القاهرة، 1427ه، 2006م.
35. محمد عادل عبد العزيز: انهيار الخلافة العثمانية وتوابعه على مصر، دار غريب، القاهرة، 2007م.
36. محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989م.
37. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م.
38. محمود السيد: تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004م.
39. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي العهد العثماني، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت،2000م.

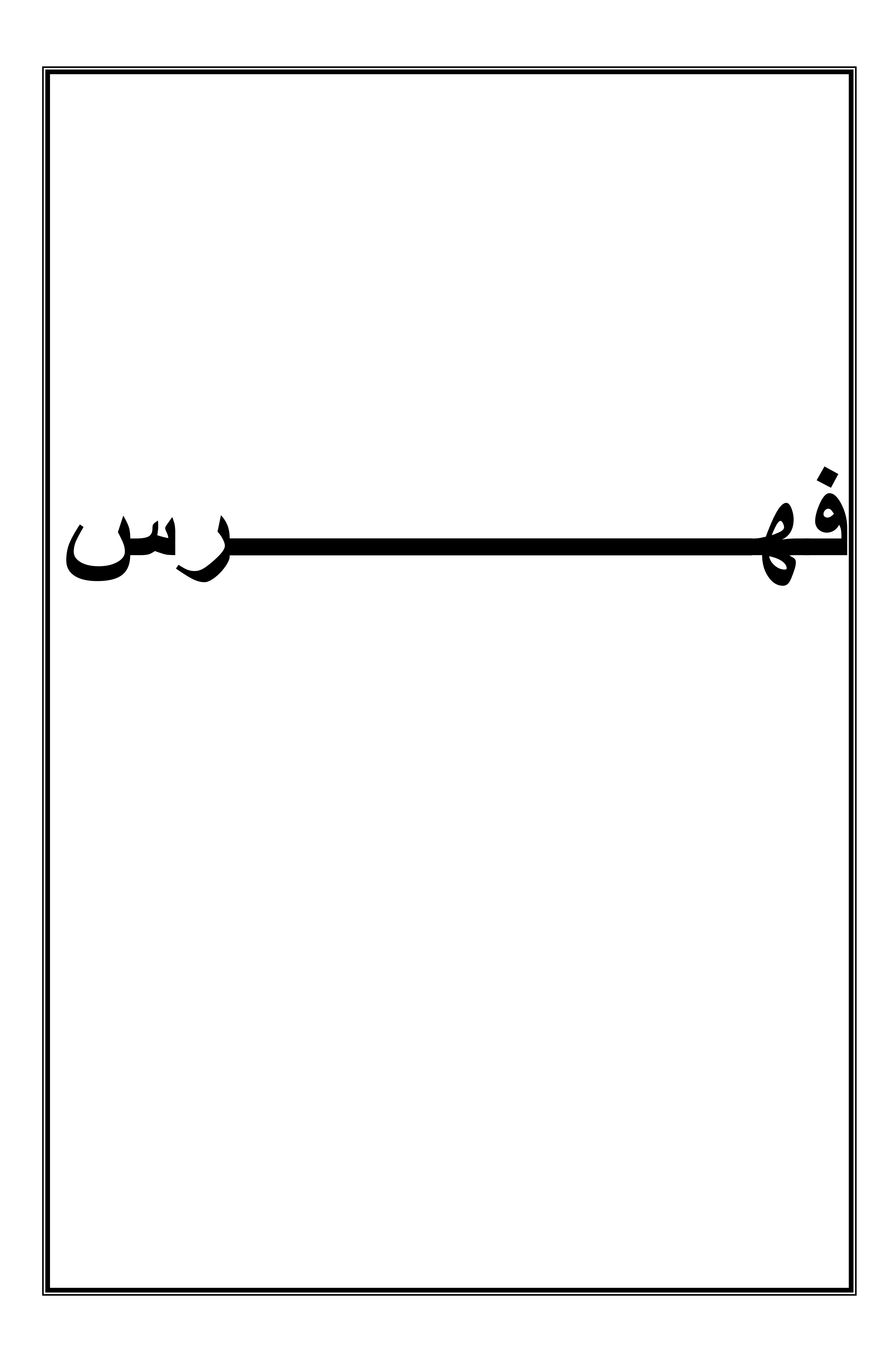
40. محمود علي عامر: الدولة العثمانية، نشأتها، قياسها، انهيارها، ط$_1$، دار الإعصار العلمي، عمان، الأردن، 1437ه-2016م.
41. محمود محمد الحويري: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط$_1$، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002م.
42. محمود محمد الحويري: مصر في العصور الوسطى، (من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني)، ط$_2$، المكتب المصري، القاهرة، 2002م.
43. موسى موسى نصر، صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية، مكتبة الأسرة، الإسكندرية.
44. مؤلف مجهول: التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية،ج3، ط$_2$، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1995م.
45. هاني خيرو أبو غضيب: أطلس تاريخ العالم القديم والمعاصر، المكتبة الجامعية، 2004م.
46. هدى درويش: الإسلاميون وتركيا العلمانية (نموذج الإمام سليمان حلمي)، ط$_1$، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1418ه، 1998م.
47. يلماز أوزتونا: المدخل إلى التاريخ التركي، تر: أرشد الهرمزي، ط$_1$، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1426ه-2005م.
48. يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مراجعة محمود الأنصاري، ط$_1$، ج1، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1408ه-1988م.
49. يوجين روجان: العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، تر: محمد إبراهيم الجندي، ط$_1$، كلمات عربية للترجمة والنشر، 2011م.

المجلات:

50. شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج3، ط$_1$، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م.

المعاجم:

1. معجم ألفاظ القرآن الكريم الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث،ج2،(د، ط)، (د،ت).



فهـــــــــــــرس